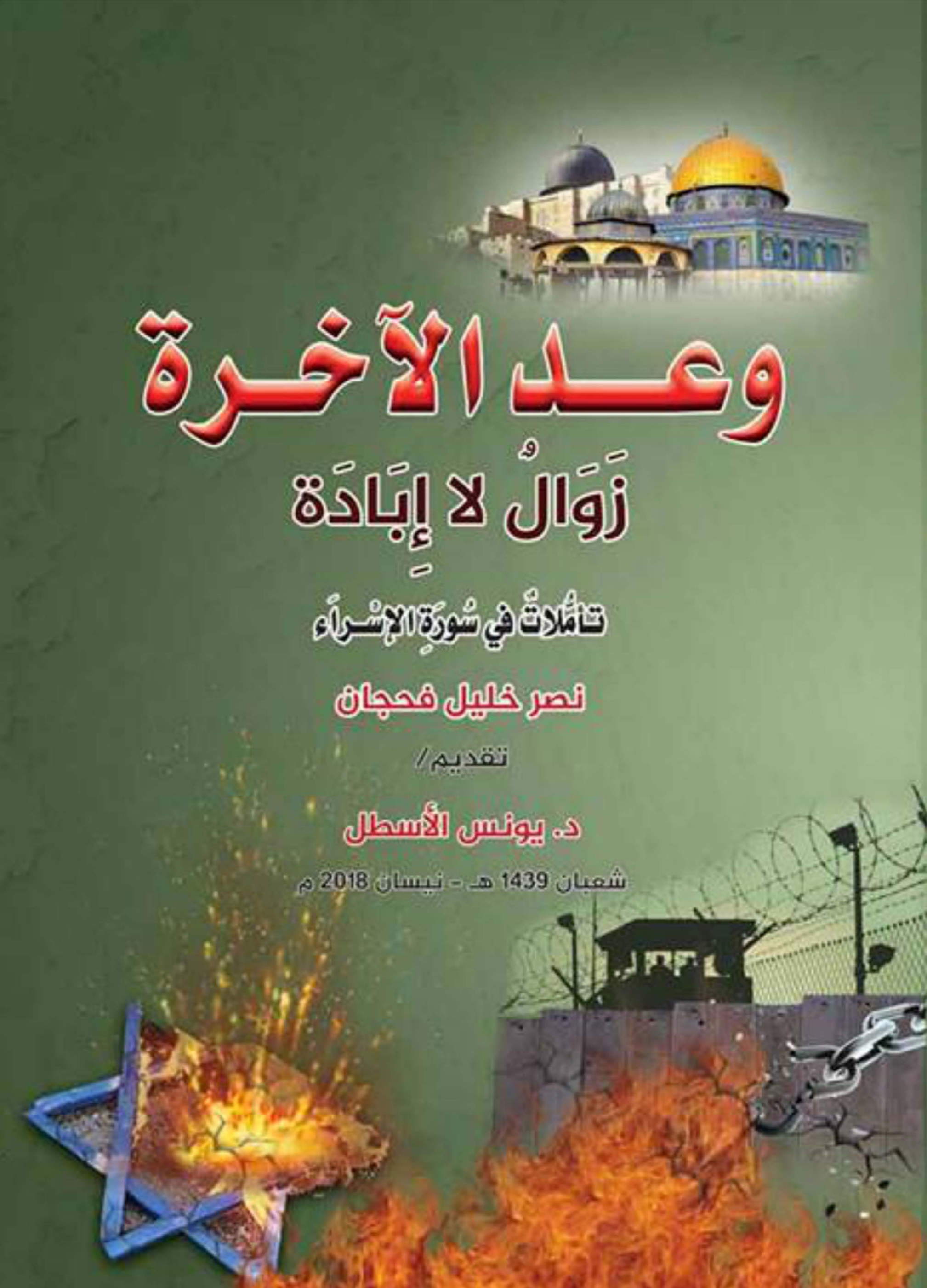


وعد الآخرة
زَوَالٌ لا إِبَادَة
تأمُلاتٌ في سُورَةِ الإسْرَاء
نصر خليل فحجان
تقديم/
د. يونس الأسطل
شعبان 1439 هـ - نيسان 2018 م

هذا الكتاب:

* أرض فلسطين هي الأرض المباركة، وهي قلب الشام، والمسجد الأقصى هو محور هذه البركة.
* بيت المقدس (القدس) عاصمة دار الخلافة الإسلامية القادمة، وستكون ناظمًا لكل المسلمين في الأرض، بإذن الله تعالى.
الإفساد الأول لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) انتهى على أيدي الأشوريين بقيادة ملك بابل (نبوخذ نصّر) سنة 586 ق. م، والذين ترجع أصولهم إلى قبائل عربية هاجرت من جزيرة العرب إلى منطقة بابل بالعراق .
* الإفساد الثاني لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) هو هذا الذي نراه الآن من إقامة دولة (إسرائيل) على أرض فلسطين منذ العام 1948م.
* يستمر أهل فلسطين في ظهورهم على الحقّ، وقهرهم للأعداء، وبقاء الخذلان والمخالفة لهم، حتى يأتيهم أمر الله.
* يكون تحرير فلسطين المباركة على أيدي أبنائها من أهل بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، ومرابطي عسقلان (غزة)، بإذن الله تعالى.
* تحرير فلسطين وإقامة دولة الخلافة في بيت المقدس، ليس من أشراط الساعة الكبرى المعروفة، ولكنّه دليل على دُنُوّ أشراط الساعة والأمور العظام.
* تحرير فلسطين، وزوال (إسرائيل)، وإقامة دولة الخلافة في القدس، يكون قبل ظهور المهدي عليه السلام، وقبل خروج الدجّال، وقبل نزول عيسى بن مريم عليه السلام، بإذن الله تعالى.
* بعد زوال (إسرائيل)، يعود اليهود إلى فلسطين مع الدجّال في محاولة للإفساد من جديد، وعندها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقتل الدجّال عند باب لدّ بفلسطين، وينطق الحجر والشجر، وينطق كل شيء وقوفًا مع المقاتلين المسلمين الذين يقاتلون اليهود، ولا يبقى يهودي في فلسطين بإذن الله تعالى، وهذا لا يعلم متى يكون إلا الله.
* إنّ زوال (إسرائيل) قد بات قريبًا جدًا بإذن الله تعالى، تدلّ على هذا العديد من الدراسات العلميّة، والبحوث المتخصّصة.

مكتبة و مطبعة دار الأرقم
تيلفون 2821075-08

وَعْدُ الآخِرَة

زَوَالٌ لا إِبَادَة

تأمُّلاتٌ في سُورَةِ الإسْرَاء

نصر خليل فحجان

تقديم الدكتور/

يونس محيي الدين الأسطل

شعبان 1439هـ – نيسان 2018 م

البرنامج الوطني لدار الكتب الفلسطينية

بطاقة فهرسة أثناء النشر

وزارة الثقافة – الإدارة العامة للمكتبات والمخطوطات

فحجان، نصر خليل إبراهيم

وعد الآخرة زوال لا إبادة (تأملات في سورة الإسراء) / نصر خليل إبراهيم فحجان –

غزة: مكتبة دار الأرقم، 2018.

(188) ص، B5 سم

رقم الإيداع: 2018/685

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾

{الإسراء: 7}

الإهـــداء

إلى أرواحِ الشهداء الطاهرة، التي سَبَقَتْ إلى الجنَّة، فكانت مشاعلَ تنير الطريق لمن بعدهم من المجاهدين والأحرار..

إلى أَسْرَى فلسطين والعرب في سجون الاحتلال الصهيوني، الذين يرقُبُون الفجر دومًا، وترنو أعينُهم نحو الشمس، أملًا في الحرية..

إلى هؤلاء الأبطال الذين يُرابطون ليلَ نهارَ على أرض فلسطين، يُعِدُّون ما استطاعوا من قوةٍ ليوم التحرير القريب بإذن الله تعالى..

إلى القدس التي تنتظر فرسانها..

إلى الأقصى الذي يشتاق إلينا..

إلى فلسطين المقدّسة المباركة، أهدي هذه التأمُّلات.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة المَاخِرة

للوقفات الفاخرة في زوال الاحتلال بوعد الآخرة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب؛ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، وجعله نوراً لنا نمشي به في الناس، حتى نكون على نورٍ من ربّنا، فهو نورٌ على نورٍ، يهدي الله لنوره من يشاء، ومن لم يجعلِ الله له نوراً فما له من نور.

وبعــد:

فقد آثرني سعادة الأخ الأستاذ/ نصر فحجان ببحثٍ له حول وعد الآخرة المتعلق بزوال الاحتلال، والتتبير للعلوِّ الكبير لفساد بني إسرائيل؛ ليكون لوناً من البُشرى في الحياة الدنيا للمؤمنين، ونوعاً من البركات التي جعلها الله تعالى للعالمين في أرض فلسطين.

وتؤوب أهميّة هذا الموضوع إلى أنَّ بني إسرائيل قد توعَّدهم ربُّهم بالغضب والذلّة في الحياة الدنيا حين اتَّخذوا العجل إلهاً، ثم تأذَّن ليبعثنَّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب بعد أن اعتدَوا في السَّبت، فقال لهم: كونوا قردة خاسئين، حتى إذا كفروا بآيات الله، وقتلوا النبيين بغير حقٍّ؛ ضرب عليهم الذلّة والمسكنة، وباؤوا بغضب

من الله، غير أنَّه قد استثنى الذلّة وحدَها دون المسكنة، فرفعها عنهم مؤقتاً حين يمتدُّ إليهم حبل من الله، وحبل من الناس؛ بأنْ يُعْطُوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فيسيروا في دار الإسلام لياليَ وأياماً آمنين، أو أنْ يظفروا بدعمٍ من أوليائهم النصارى، والمنافقين، وعموم المشركين، فأنت ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا، ويقولون للمشركين: إنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

وفي تلك الفترات الاستثنائية من تاريخ شَرِّ البرية؛ بل شَرِّ الدواب عند الله؛ قضى الله عز وجل أن يأخذهم بسنته في المفسدين؛ بأنْ يتمكنوا من الإفساد في فلسطين، وأنْ يعْلُوا فيها عُلُواً كبيراً؛ لِيُرِيَ العالمين بركة فلسطين؛ إذْ يستطيع عبادٌ لله أولو بأس شديد وهم أذلة أقلة إساءة وجوه بني إسرائيل أولاً، وفتح بيت المقدس، ودخول المسجد الأقصى ثانياً، وتتبير ما علاه بنو إسرائيل تتبيراً تاماً ثالثاً؛ ويريد الله بذلك أنْ يُحِقَّ الحقَّ بكلماته، ويقطع دابر الكافرين، فَيَهْلكَ من هلك عن بينة؛ ببقائهم في طغيانهم يعمهون، ويحيى من حَيَّ عن بيِّنة، ويجعلهم أئمة يهدون بالحق، وبه يعدلون، لمَّا صبروا، وكانوا بآياته يوقنون.

وقد تكفّل مولانا جلَّ جلاله أن يهزم اليهود بالرعب، حتى لو ظنوا أنهم مَانِعَتُهم حصونهم من الله، فلأنتم أشدُّ رهبةً في صدورهم من الله، وربما لم يكونوا يوماً في رعبٍ شديدٍ كما هو اليوم؛ فقد عجزوا عن تركيع غزة ثلاث مرات في أقلَّ من ست سنين رغم حصارها من الاحتلال، ومن أصحاب الحبال الممتدة إليه من منافقي قومنا، ومشركي أمتنا، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم.

هذا وقد وجدت هذا البحث جيِّداً في مجمله، وجديداً في بعض جوانبه، ويمكن أنْ أرصد طائفةً من مناقبه في البنود الستة التالية:

1. بعد التأكيد على جملة من فضائل المسجد الأقصى توسَّع في مفهوم الأقصى، حتى كان أقصى للعباد، سواءً العاكف فيه والباد، حتى إنَّه ليتفوق في بعض الأعوام من حيثُ الثواب عن المسجد الحرام، لا سيَّما حين تكون فيه الطائفة المنصورة في مجابهة مع العلو الكبير لبني إسرائيل.

2. التوسع في مدلول ما حول المسجد الأقصى من البركة؛ لتشمل المنطقة الكبرى للشام، وطرفاً من مصر والعراق؛ أيْ من الفرات إلى النيل، وقد تجلَّت في قيام المجاهدين والفاتحين بالزحف على الغزاة المحتلين، والجبابرة المفسدين، من زمن سيدنا موسى، ثم تلميذه يوشع

بن نون، إلى القائد طالوت الذي أُوتي بسطةً في العلم والجسم، ثم الفتح الإسلامي في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانطلاق صلاح الدين الكردي من مصر، حتى وحَّد الأمة، ثم انتصر في معركة حطين، وكذلك الأتراك المماليك الذين زحفوا من مصر إلى عين جالوت بفلسطين، فقضوا على المغول والتتر الذين قرَّروا أنْ يدمِّروا حضارة البشر، وقد جاء الدور على بني صهيون، ومن معهم من المنافقين والمشركين.

3. إثراء قبضة من المعاني، بما يصعب تصورها بالتدبر الظاهري لبعض المفردات القرآنية في سورة الإسراء، ومن ذلك النقاط الأربعة التالية:

(أ) بلغت وجوه العلوّ الكبير لبني إسرائيل ثمانية، ولا يخلو هذا البحث من الإشارة إلى المزيد منها، كما في الوقفة الخامسة وغيرِها من مجموع الوقفات الاثنتين والعشرين التي قام عليها البحث، بالإضافة إلى فروع أخرى برزت بتراجمَ خاصةٍ في ثنايا بعض الوقفات؛ كَنُعُوتِ جند التحرير في الوقفةِ السابعةَ عشرةَ، أو عودة اليهود مع الدجَّال في الوقفةِ التاسعةَ عشرةَ، ولو أفردها بعناوينَ خاصةٍ لناهزت وقفاته الثلاثين.

(ب) بلغت تأويلات النفير في قوله تعالى: "وجعلناكم أكثر نفيراً" ستة؛ لتشمل إعلان الحرب؛ بدليل عدد الحروب التي خاضوها من عام 1948م إلى يومنا هذا، وقد أتمت عشراً، كما يكونون أكثر نفيراً من خصومهم الذين جاسوا خلال ديارهم في التسليط الأول، أو أنَّهم أكثر نفيراً من العرب، أو أكثر استنفاراً للدول الكبرى، وهكذا كما هو معروض في الوقفةِ الحاديةَ عشرةَ.

(ج) وجوه إساءة بني إسرائيل في وعد الآخرة، وقد بلغت عشرةً أيضاً، من الاضطرار إلى الانسحاب من غزة، إلى خطف الجنود من دباباتهم المتينة، ومواقعهم الحصينة، إلى نجاح عشرات العمليات الاستشهادية من الوصول إلى العمق الصهيوني، إلى انكشاف ضعف العقيدة القتالية عند الجنود، وسقوط أسطورة الجيش الذي لا يُقهر، وغير ذلك، كما في الوقفة الخامسةَ عشرةَ.

(د) وقد وصلتْ معاني المجيء بهم لفيفاً إلى أربعة، وكذا معاني التتبير في الوقفتين الرابعةَ عشرةَ، والسابعةَ عشرةَ، وفي هذه الأخيرة أوْصَلَ عدد المواقع والمؤسسات التي يطالها التتبير إلى اثنتي عشرة، بما فيها مقرّ الكنيست (البرلمان)، والوزارات، والمواقع العسكرية، والجدار الفاصل الذي يطوق المدن الفلسطينية، وغيرها.

4. يتمتع الأخ الباحث بسعة الخيال التحليلي، فقد ذكر ستة أمورٍ تحدث بعد التتبير، منها هروب اليهود من فلسطين، وتخلّي الغرب عنهم، وسقوط الأنظمةِ العربيةِ المرتهنِ وجودهُا بهم، والإعلان عن قيام الدولة الإسلامية، وغيرُ ذلك، كما نجده بعد الوقفةِ السابعةَ عشرةَ، ومن الخيال الطيب ستة وجوهٍ أخرى من النتائج المترتبة على عودة سبعين ألفاً من اليهود مع المسيح الدَّجَّال؛ لتكون فلسطين مرةً أخرى حاضنةً للقضاء على الفساد اليهودي الداعم للدجال الكبير، فما أنْ يقتله المسيح بن مريم عليه السلام حتى يتفرق اليهود خلف الشجر والحجر، فيُنادَى على المسلمين عباد الله؛ ليجيئوا لقتل أولئك اليهود المفسدين، ويمكنك مطالعتها بعد الوقفةِ التاسعةَ عشرةَ.

5. الاعتماد على الكثير من المصنفات والأبحاث، والاستئناس في الترجيح برأي طائفة من العلماء والدعاة المعاصرين؛ من أمثال الشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ سعيد حوَّى، والدكتور أحمد نوفل، والأستاذ بسام جرَّار، والعبد الفقير القائم بتسطير هذا التقرير، كما تراه في الوقفةِ الثالثةَ عشرةَ.

6. ولا بُدَّ من الإقرار بصعوبة الحسم في الخلاف بين العلماء والمفسرين قديماً وحديثاً في تحديد المرة الأُولى للإفساد والعلو الكبير،

وأنَّ وعد الآخرة لا يخلو من عِراكٍ علميٍّ أيضاً، وقد بذل الباحث جهده في الترجيح مشكوراً ومأجوراً، وقد لا أشايعه بالضرورة في بعض ما ذهب إليه، وهو قليل.

وهناك بعض الاجتهادات عنده هي محلُّ نقاشٍ؛ من مِثْل تفسير الشجرة الملعونة في القرآن ببني إسرائيل، وكَوْن سيدنا إدريس هو إلياسَ عليه السلام نفسَه، وأن العباد المسلطين على بني إسرائيل من العرب قطعاً، وليس شرطاً أنْ يكونوا مسلمين، مع أنَّه قد ورد في ثنايا البحث ما يُحتمل معه أنْ يكونوا مسلمين، كما في آخر التعقيب على الوقفة السادسةَ عشرةَ، وفي الإشارة الرابعة المتعلقة بتأويل قوله تعالى: "فجاسوا خلال الديار".

ومع أنَّه ليس من الضروري أنْ أشايعه في هذا التقريظ في كلِّ ما ذهب إليه شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، غير أنَّ المجتهد مأجورٌ أصاب أو أخطأ، ما دام لمْ يدِّخر جهداً في التأهُّلِ له من ناحيةٍ، وفي البحث والمطالعة من ناحيةٍ أخرى.

وفي الختام؛ فإنّني أشكر لأخي الباحث ثقته في شخصي لأخُطَّ هذه الافتتاحية، وأرجو له التوفيق والقبول، وأتعشَّم أنْ يتواصل جهده مع الأبحاث القرآنية، لا سيَّما ما اشتدَّت إليه حاجتُنا على طريق

عودتنا لبيت المقدس، والأرض المباركة للعالمين، وكذلك لعودتنا سيرتَنا الأولى خيرَ أمّةٍ أُخرجتْ للناس، ورحمةً للعالمين، مهراً لعودتنا إلى جنَّةٍ عرضها السموات والأرض أعدَّت للمتقين.

وصلَّى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

خان يونس في يوم الاثنين المبارك

8/ رجب/ 1439هـ

الموافق 26/ آذار/ 2018م

بقلم د. يونس الأسطل

عضو رابطة علماء فلسطين

وعضو البرلمان الفلسطيني

مُقدِّمَة

الحمد لله الذي أمر نبيَّه بتبشير المؤمنين بقرب النصر والتمكين، فقال: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ {الصف: 13}، وأصلِّي وأسلِّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه الكرام، الذي بشَّر أهل الشام بمعيّةِ الله تعالى، فعن واثلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... **فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ**)[1].

أما بعد:

فهذه تأمُّلات في سورة الإسراء، حاولتُ من خلالها الوقوف على بعض المعاني والإشارات القرآنية، مستهدياً بالله أولاً، ثمَّ بمدلول الكلمة القرآنية في لغة العرب في وقت نزول القرآن الكريم، مستصحباً الأحاديث الثابتة عن النبي (ﷺ)، ومستأنساً بأقوال العلماء في العصور المختلفة.

---

1 أخرجه الطبراني في الكبير، (58/22) (137) وفي مسند الشاميين (3387) وابن عساكر في تاريخ دمشق (1/78) وقال:" صحيح"، قال المنذري في الترغيب والترهيب (4/102):" رواته ثقات"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/62):" رجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (4070)، وصحيح الترغيب والترهيب (3090).

وقد سعيت في هذه التأمّلات إلى استعراض بعض أقوال المفسرين الكرام فيما يتعلق بالإفسادة الآخرة لبني إسرائيل، ومناقشة هذه الأقوال بما تهيَّأ لي من الأدلّة النقلية والعقلية، سائلاً الله تعالى أنْ يلهمني الصواب ويهديني إلى الحق.

وقد جاءت هذه التأمّلات على شكل وقفاتٍ عند آياتٍ أو مقاطعَ أو كلماتٍ في سورة الإسراء، فكانت كلُّ وقفة منها موضوعاً يرتبط بما قبله وبما بعده، وحرصتُ فيها على عدم السّرد أو الحشو المُمِلِّ، مما يسهِّل على القارئ مطالعتها والاستفادة منها، عسى أنْ تكون رسائلَ لكل الأمة في كل مكان، تبعث الأمل بقرب النصر، وتتشعَّل شموعاً تنير الدروب للمجاهدين والمرابطين والمُهجَّرين بأنَّ الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين إلى زوالٍ قريب، وأنَّ فلسطين ستعود إلى أهلها بإذن الله تعالى، وهذا ليس رجْماً بالغيب، ولا تكهُّناً من عند نفسي، بل هو من وحي القرآن الكريم، فقد نزَّل الله تعالى الكتاب على نبيّه صلَّى الله عليه وسلَّم تِبياناً لكلّ شيء، فقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ {النحل:89 }، لنستلهم منه في حياتنا ومستقبلنا ما ينفعنا، ونستبشر به في محنتنا ما يدفعنا للصمود والجهاد، حتى تضع الحرب أوزارها، ويقضي الله أمرًا كان مفعولاً..

وقد تشرَّفْتُ بعرض هذه التأمُّلات على الأخ الحبيب فضيلة الدكتور/ يونس الأسطل صاحب الباع الطويلة في التفسير وعلوم القرآن، وقد أكرمني بكتابة مقدِّمةٍ لهذه التأمُّلات، فلَهُ منِّي الدعوات الواصبات على ما أسداه من أطايبِ النُّصح، وجميل الإفادات.

إنَّ هذه بعضُ تأمّلاتٍ وتدبُّراتٍ في آيات الله تعالى، وكلامه الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، وقد بلَغَتْ اثنتين وعشرين وقفةً، تخلَّلتْها بعض الفروع أحيانًا زيادة في تجلية المعنى، كما يظهر في فهرس المحتويات، عملاً بقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ { سورة ص: 29} فإنْ أصبْتُ فمن الله وحده، وإنْ أخطأتُ فمن نفسي والشيطان، والله هو الوليُّ وهو الهادي إلى سواء السبيل.

نصر خليل فحجان

أستاذ الدراسات الإسلامية في كلية فلسطين للتمريض

عميد كلية دار الدعوة والعلوم الإنسانية سابقًا

غزة – فلسطين

رجب 1439 هـ- آذار 2018 م

الوقفةُ الأُولَى

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾

إنَّ الذي يشدُّ الانتباه في هذه الآية الكريمة هو ارتباط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى ارتباطاً عضوياً لا انفكاك له، وهو ارتباط يشير إلى بداية الانطلاق نحو الغاية، فالمسجد الحرام هو المنطلق، والمسجد الأقصى هو الغاية.

وكما أنَّ المسجد الحرام سُمِّي مسجداً منذ البداية، فإنّ المسجد الأقصى سُمّي مسجداً منذ البداية، فالبداية سجود، والغاية الأقصى سجود.

جاء في الحديث الصحيح عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: " **قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أوَّلّ أيْ للصلاة فيه؟ قال: المسجد الحرام، فقلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم حيثما أدركت الصلاة فصلِّ، والأرض لك مسجد**"[1]

---

1 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب، ح3366، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، أول الكتاب، ح520.

فهو مسجدٌ يمتد في عمق التاريخ، وإنّ أول ما يشُدّ الأنظار، ويدعو إلى التأمل هو اسم المسجد (الأقصى)!!!

لماذا سمَّاه الله تعالى الأقصى؟

هل لبُعد المكان الجغرافي عن مكَّة كما يخطر ببالنا؟

إنَّه لو افترضنا الأمر كذلك، فإنّنا نجد الآن مساجدَ أكثر بُعداً من المسجد الأقصى عن مكة، كما في العراق، وسوريا، والأردن، ومصر، وشمال أفريقيا، وأوروبا، وأمريكا، وكلِّ الكرة الأرضية.

إنَّ المسجد (الأقصى) ليس محدوداً زمنياً بفترة نزول السورة الكريمة، بل هو الأقصى في كلِّ الأوقات، ولا هو محدودٌ مكانياً وجغرافياً، بل هو الأقصى دائماً بغضِّ النظر عن البُعد الجغرافي، وإلا فماذا يقول الذين يُصَلُّون فيه الآن من أهل بيت المقدس وأكنافه؟ هل هو بعيد عنهم جغرافيا؟! أم أنّه بعيد عنهم فلا سيادة لهم عليه؟ أم أنَّ الأمر غير ذلك؟!

إنَّه الأقصى والأبعد في ضمير المؤمنين، وهو الأقصى مستقبلاً، وهو أقصى هذه الرسالة الخاتمة، تزحف إليه قلوب الموحِّدين، وأقصى أمنياتهم شهادةٌ على أبوابه، أو في رحابه.

إنَّه الأقصى مَنْزِلُ الخلافة الأخير، وموطن نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وهو الأقصى حيثُ عزةُ المسلمين، وعودة الدين.

ولئنْ كانت الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة، فإنَّ للمسجد الأقصى كرامةً خاصَّةً، حيثُ الرباطُ والجهاد وبذل الأرواح والمُهَج والدماء والأموال دفاعاً عنه، وذوداً عن أبوابه، وفي هذا نجد النبي (ﷺ) يُلفت الأنظار إلى هذه المعاني ليظلّ الأقصى في نظر المسلمين في كلّ الأزمان أكبر وأقصى من كلّ الغايات، فعن أبي ذر رضي الله قال: تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى، وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا - أَوْ قَالَ: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).**[1]

---

1 المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الفتن والملاحم، (4/ 554) ح 8553.
وقال الحاكم عقِيبه: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.
وأخرجه الطبرانيّ في المعجم الأوسط (8/ 148) ح 8230.
وصححه الألباني كما في تعليقه على الترغيب والترهيب للمنذري، ص 507، ح 1741.

ومعنى قوله (ﷺ): **(وليُوشِكَنَّ أنْ يكونَ للرجل مثلُ شَطَن فَرَسه من الأرض حيثُ يرى منه بيت المقدس خير من الدنيا جميعاً)** أنَّ المسجد الأقصى سيكون من العسير على المسلمين أنْ يَصِلُوا إليه، بل إنَّ بعضهم سيتمنّون أنْ يروه بأعينهم مجرد الرؤية، فهو في الأَسْر وتحت الاحتلال، ولا يستطيع أنْ يَصِل إليه المسلمون حتى من أبناء الأرض المقدسة (فلسطين)، وأحياناً حتى من أبناء بيت المقدس ذاته.

وفي هذا الحديث حثٌّ على حبِّ الأقصى والسعي إليه، والمزاحمة من أجله ومن أجل الوصول إليه، والرباط فيه والدفاع عنه، ومن استطاع أنْ يمتلك مساحة صغيرة مثل زمام الفرس، أي (مترًا مربعًا) أو زدْ عليه قليلًا، بحيث يرى منه بيت المقدس، - وإنْ لم يستطع الوصول إليه – فهو خير له من الدنيا بحذافيرها .

وفي كل هذا من الأجور والثواب ما يجعل الأقصى غاية الغايات، ومنتهى الأهداف لكلِّ المسلمين، فهو منتهى الأجر، ومنتهى الغاية، وهو أقصى البَرَكَة ومركزُها، وهو الأقصى زمانًا، حيثُ تنزل الخلافة ببيت المقدس، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام إلى الأرض المباركة، فيقيم العدل، ويحكم بالقسط بإذن الله تعالى.

ليس عبثًا بعد هذا كلِّه أنْ يكون الأقصى هو نهايةَ رحلة الإسراء، وبداية الرحلة إلى السموات العُلا، حيثُ سدرةُ المنتهى، عندها جنَّة المأوى، فالمسجد الأقصى هو أقصى الرحلة ومبتغاها، وهو بعد الإسراء والمعراج أقصى الجهاد، وأقصى الرباط، وأقصى الظهور على الحق، ثمَّ هو الأقصى حيث سيكون الحشر والنشر لكلِّ البشر.

الوقفةُ الثانيةُ

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾

لقد بارك الله تعالى في فلسطين، وسمَّاها الأرض المباركة، فصارت تُعرف بالبركة والقداسة، لوجود المسجد الأقصى في قَلْبها، ولقد بُوركت فلسطين في آياتٍ عديدةٍ من القرآن الكريم، ما جعل أفئدة المسلمين تهوي إليها على مرِّ السنين.

وفي هذا يقول الله تعالى مخبرًا عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ {الأنبياء: 71}، فالله تعالى نجّى إبراهيم ولوطاً عليهما السلام بدخولهما فلسطين المباركة، مهاجِرَيْن من أرض العراق، وجبروت الطاغوت نمروذ .

وقد منَّ الله تعالى على سبأ بأنْ جعل بينهم وبين فلسطين قرىً ظاهرة تُسهَّل عليهم السفر إليها، فقال: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ {سبأ: 18}، فلم يكونوا في حاجة لحمل الزاد، فما يبْرحُون قريةً إلاّ ويصِلُون إلى أخرى قبل أنْ تقرِضَهم الشمسُ بالمغيب.

ومن نعمة الله على سيدنا سليمان عليه السلام أنْ جعل الريح تجري بأمره إلى أرض فلسطين المباركة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ {الأنبياء: 81}

وبعد أنْ أغرق الله فرعون، ونجَّى بني إسرائيل من ظُلمه وطغيانه، أورثهم الأرض المباركة بما صبروا على الشدائد التي كابدوها من فرعون وقومه، فقال عزَّ شأنه: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ {الأعراف: 137}.

لكنّنا نجد أنَّ من العلماء منْ وسَّع في الأرض المباركة، فجعلها من النيل إلى الفرات، فالآية لم تحدد حدوداً للبركة التي جعلها الله تعالى حول المسجد الأقصى، ومنهم منْ جعل الأرض المباركة هي كلَّ بلاد الشام لتشمل فلسطين والأردن وسوريا ولبنان.

وأيًّا كان الأمر، فإنَّ فلسطين مباركة باتفاق جميع العلماء، وعند كلِّ المذاهب، فلو قلنا: إنَّ الأرض المباركة هي بلاد الشام، ففلسطين قلب الشام، ولو قلنا: إنَّ الأرض المباركة من النيل إلى الفرات، فإنَّ فلسطين في قلب هذه الأرض المباركة للعالمين.

وليس عبثًا أنْ نجد اليهود يرسمون على عَلَمِهِم خَطَّين أزرقين يرمزون بهما إلى النيل والفرات، لأنَّ لهم أهدافاً توسعية ترمي إلى السيطرة على البلاد الواقعة بين النيل والفرات، فهم يقولون: حدودك يا (إسرائيل) من الفرات إلى النيل، وربما تطلعوا إلى السيطرة على المنطقة العربية كلِّها .

إنَّ الناظر في الواقع يرى أنَّ هذه الأرض الواقعة بين النيل والفرات هي أرض الأحداث الكبرى في العالم في الماضي والحاضر، ولا عجب في ذلك فهي أرض رباط إلى يوم القيامة.

وفي العصر الحديث رأينا احتلال فلسطين من قبل اليهود، واحتلال شبه جزيرة سيناء، واحتلال هضبة الجولان السورية، واحتلال العراق من قبل الأمريكان، وتتحكم روسيا الآن في الأرض السورية، وكل هذه البلاد تقع بين النيل والفرات، فقد تداعتْ عليها الأمم كما تتداعى الأَكَلَة إلى قَصْعتها.

ولذلك نجد في أحاديثَ أخرى أنَّ النّبيّ (ﷺ) ينبّه أهل الشام إلى بركة أرضهم حتى يعضّوا عليها بالنواجذ، ومنها هذه الروايات الخمس:

1.يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (... **فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ**)[1] في إشارة إلى أنّ أرض فلسطين ستتعرض لأحداثٍ كبرى، فهي قلب الشام، وبؤرة الأرض المباركة.

وهو نفسه ما نجده في الحديث: عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه، يرفعه، (... **وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ**).[2]

وفي الحديث عن زَيْد بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: (**طُوبَى لِلشَّامِ**)، **قِيلَ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا**).[3]

---

1 أخرجه الطبراني في الكبير، (58/22) (137) وفي مسند الشاميين(3387) وابن عساكر في تاريخ دمشق(1/78) وقال:" صحيح"، قال المنذري في الترغيب والترهيب(4/102):" رواته ثقات"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(10/62): " رجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (4070)، وصحيح الترغيب والترهيب(3090).

2 سنن النسائي، كتاب الخيل، بابٌ، ح 3561. وصححه الألباني.

وأخرجه أحمد في مسنده (28/ 164) ح 16965. وحسّنه الأرناؤوط.

3 مسند أحمد (35/ 483) ح 21607. وصححه الأرناؤوط، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله، باب في فضل الشام واليمن، ح 3954. وقال الترمذي بعده: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وصححه الألباني، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (16/ 293) ح 7304، وصحّحه الأرناؤوط كذلك.

2. وهذا يندرج في معنى البركة المخصوصة بهذه الأرض، فهي أرض إبراهيم عليه السلام، يقولَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ الْأَرْضِ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ........)** [1].

3. عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه، مرفوعًا: **(عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا صَفْوَةُ بِلَادِ اللهِ يَسْكُنُهَا خِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ،...)**.[2]

لم يكن من قبيل الصُّدفة أنْ تكون معظم الانتصارات الكبيرة للمسلمين قد تحققت في فلسطين المباركة، فهي بركة النصر، وبركة الصبر، وبركة الأنبياء، وبركة الأرض، وبركة المسجد الأقصى.

وسأذكر هنا بعضًا من الأحداث الكبرى التي وقعت في فلسطين أو ما حولها:

---

1 أخرجه أبو داوود (3/4)، (2482)، وأحمد (2/190) (6871)، والطيالسي (30275) (2293)، والحاكم (4/533) (8497)، وأبو نعيم في الحلية(6/53)، ونعيم بن حماد في الفتن(2/464)(1308)، قال ابن حجر في فتح الباري (11/387): "اسناده لا بأس به"، وفي هداية الرواة(5/497) أشار إلى أنه حسن كما في المقدمة، قال أحمد شاكر في مسند أحمد(11/153): " إسناده صحيح"، وصححه الألباني في الصحيحة (3203) بعد أن تراجع عن تضعيفه، انظر مراجعات العلامة الألباني (1/4)(28)، وصحيح الترغيب (3091).

2 المعجم الكبير للطبراني (22/ 58) ح 137، وصححه الألباني كما في تعليقه على الترغيب والترهيب للمنذري، ص 1124، ح 4441.

1. في فلسطين كان فتح يوشع بن نون عليه السلام، والقضاء على القوم الجبارين من بعد فترة التيه التي ناهزت الأربعين من السنين.
2. وفي فلسطين كان تحرير طالوت الذي أوتي بسطة في العلم والجسم بفئة قليلة من بني إسرائيل.
3. وفي فلسطين كان انتصار فارس على الروم، ثم انتصارهم من بعد غَلَبِهم في بضع سنين.
4. وفي فلسطين كان غزو الأشوريين والبابليين، وسبْيُ اليهود على يدي نبوخذ نصَّر، وسنحاريب.
5. وفي فلسطين وما حولها كان الفتح الإسلامي بمعركة اليرموك وما تلاها، مع محاولة تحريرها بغزوة تبوك وجيش أسامة من بعد غزوة مؤتة، بل كان من أهداف فتح خيبر تأمين الطريق إليها، بالقضاء على الخطر اليهودي.
6. وفي فلسطين كانت حطين، وكانت نهاية الصليبيين.
7. وفي فلسطين كانت عين جالوت التي انهزم فيها المغول.
8. وفي فلسطين كانت موقعة أجنادين، وبيسان.
9. وفي فلسطين سيكون التتبير لعلوِّ بني إسرائيل الكبير بإذن الله.

10. وفي فلسطين سيقتُل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الأعور الدجَّال عند باب لُدٍّ بإذن الله.

11. وفي فلسطين ستنتهي زحوف يأجوج ومأجوج بإذن الله، وهم من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون.

12. وفي فلسطين سيحكم سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام بالإسلام أربعين سنةً قبل يوم القيامة بإذن الله.

13. وإلى فلسطين سيكون المحشر، ومنها سيكون المنشر بإذن الله، إمَّا إلى الجنان، وإمَّا إلى النيران.

الوقفةُ الثالثةُ

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ ﴾

ماذا رأى النبيُّ (ﷺ) في رحلتي الإسراء والمعراج؟

ما هي الآيات التي تتحدث عنها الآية الكريمة؟

إنَّ لام التعليل في الفعل ﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ تُنبئنا بأنَّ رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى تحديداً، ومنه إلى السموات العُلا، كانت من أجل أنْ يرى محمدٌ (ﷺ) من آيات الله الكبرى ما لم يَرَهُ وهو في مكة، ولا بطريق الوحي.

والآية في اللغة هي الدليل والبرهان، ويبدو أنَّ هذه الآيات التي رآها النّبي صلّى الله عليه وسلّم في رحلة الإسراء والمعراج ليست من الآيات الأرضية، فقد كان النّبيّ (ﷺ) قبل الإسراء والمعراج في الأرض، وكان يتنزّل عليه الوحي بالقرآن، لكنّ تلك الآيات ليست وحياً ينزل به جبريل عليه السلام، ولكنّها آياتٌ سيراها محمد (ﷺ) بنفسه، وسيعاينها بقلبه وبصره: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ {النجم: 17 – 18}.

إذنْ فقد رأى النّبيّ (ﷺ) هذه الآيات فعلاً، كما قال الله تعالى:

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ {الإسراء:1 }.

- **فماذا رأى النّبيّ (ﷺ) في تلك الليلة المباركة؟**

- **وما هي الآيات الكبرى التي رآها رأي العَيْن والفؤاد؟**

كثيرة ٌتلك المشاهد التي رآها النبي (ﷺ) في رحلة الإسراء والمعراج، وكتب السيرة تذكرها، وتتوسع في شرحها، ومنها رؤية البيت المعمور، وسدرة المنتهى، والمسجد الأقصى، ونهر الكوثر، وجبريل عليه السلام على هيئته، والجنة، والنار، وفرضية الصلاة، وأحوال الناس الذين يعذبون في النار، وغير ذلك من المشاهد.

وإنني أرى أنَّ معظم الآيات التي رآها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في رحلة الإسراء والمعراج لها علاقة بالرحلة نفسها، وبالمسجد الأقصى، وبالأرض المباركة، وبما سيحدث في هذه الأرض المباركة والمسجد الأقصى من أحداثٍ كبرى، وبما تعرَّضتْ له الأمة الإسلامية خلال مسيرتها، خاصة من قِبَل اليهود الذين تتحدث عنهم سورة الإسراء، بل عن نهايتهم على أرض فلسطين، على أيدي عبادٍ لله أولي بأس شديد.

وقد قمت بجمع بعض هذه الآيات التي رآها النبي (ﷺ) خاصة المتعلقة بالأرض المباركة والمسجد الأقصى، وأَهَمُّها ما يلي:

أولاً: رؤية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لبعض الأنبياء والمرسلين الكرام في السموات:

فقد رأى عليه الصلاة والسلام في السماء الأولى آدم عليه السلام، ورأى في السماء الثانية ابني الخالة يحيى وعيسى بن مريم عليهما السلام، ورأى في السماء الثالثة يوسف عليه السلام، ورأى في السماء الرابعة إدريس عليه السلام، ورأى في السماء الخامسة هارون عليه السلام، ورأى في السماء السادسة موسى عليه السلام، ورأى في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في حديث الإسراء والمعراج أن النبيّ قال: (**... فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا ... فَإِذَا فِيهَا آدَمُ،.. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، ...، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، ...، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، ...، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، ...، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ... خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، ...، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ ... فَإِذَا هَارُونُ،**

... حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ ... فَإِذَا مُوسَى، ...، ثُمَّ صَعِدَ بِي [جبريل] إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ... فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ...).[1]

- **ولنا أنْ نسأل: لماذا لم يكنْ مع هؤلاء الأنبياء نوحٌ عليه السلام وهو من أُولي العزم من الرسل؟**
- **ولماذا لم يكن معهم صالحٌ عليه السلام؟**
- **ولماذا لم يكن معهم هودٌ وشعيبٌ، وغيرُهم من أنبياء الله تعالى عليهم السلام؟**

وبقليل من التدبُّر نجد أنَّ هؤلاء الأنبياء الذين رآهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في السموات هم من بني إسرائيل، أو أنّهم تعرّضوا للأذى من بني إسرائيل، أو أنَّ لهم علاقة بالأرض المباركة والمسجد الأقصى، **وفيما يلي بيان ذلك:**

1. فموسى عليه السلام من بني إسرائيل، وتعرّض للأذى منهم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ {الأحزاب: 69}، ولهذا فقد

---

1 متفق عليه؛ أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ح 3887، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات، وفرض الصلوات، ح 164.

استهجن منهم ذلك، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾{ الصف: 5}، وستتعرض يا محمدُ أنت وأمّتُك للأذى من بني إسرائيل كما تعرض موسى عليه السلام، ولكنّ أذاهم لنْ يضرَّكم ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ { آل عمران: 111}.

2. وهارون عليه السلام تعرّض كذلك للأذى من بني إسرائيل، حتى كادوا يقتلونه كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {الأعراف: 150}، فاصبرْ يا محمد على أذى اليهود، ولتصبر أمتك على أذاهم، ولتقاتلْهم يا محمد، وليقاتلهم المسلمون كافَّة كما يقاتلونكم كافَّة.

3. (وإدريس عليه السلام هو (إلياس) من أنبياء بني إسرائيل من بعد زمن سليمان عليه السلام، أرسله الله لمَّا انتشرت الوثنية في الإسرائيليين، وساعد على انتشارها ملوكهم وبَنَوْا لها المذابح،

وعبدوها من دون الله تعالى، ونبذوا أحكام التوراة وراءهم ظِهرياً، فقام إدريس(إلياس) عليه السلام يوبِّخهم على ضلالهم، ويدعوهم إلى التوحيد، ويُسمَّى في التوراة (إيليا) وله نبأٌ فيها كبير) [1].

وممَّا يُرجِّح لديَّ أنَّ إدريس هو إلياس عليه السلام، ما جاء في قراءةٍ تفسيريةٍ غير سَبْعِيَّةٍ لعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه للآية 123 من سورة الصافّات﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ {الصافات: 123}، فقد قرأها باستبدال (إلياس) ب (إدريس)، كما يلي: (وإنّ إدريس لمن المرسلين)، وكذلك فعل رضي الله عنه في الآية 130 من سورة الصافّات: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ {الصافات: 130} فقرأها كما يلي: (سلامٌ على إدراسين)، يقول القرطبي: (قال المفسرون: إلياس نبيٌّ من بني إسرائيل، ورُوي عن ابن مسعود قال: إسرائيل هو يعقوب، وإلياس هو إدريس، وقرأ " وإنَّ إدريس" ، وقاله عكرمة، وقال: هو في مصحف عبد الله بن مسعود " **وإنَّ إدريس لمن المرسلين**" [2].

1 القاسمي، محمد جمال الدين، (تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل)، المجلد الثامن، ص96، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2011م.

2 القرطبي، أبو عبد الله محمد، (الجامع لأحكام القرآن)، المجلد الثامن، ص 99، دار الحديث، القاهرة، 2002م

(وقد أخذ أبو بكر بن العربي من هذا أنَّ إدريس لم يكن جَدًّا لنوح، وإنِّما هو من بني إسرائيل، لأنَّ إلياس قد ورد أنَّه من بني إسرائيل، واستدلَّ على ذلك بقوله عليه السلام للنبي صلَّى الله عليه وسلم: "مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح"، ولو كان من أجداده لقال له كما قال له آدم وإبراهيم، حيث قالا: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح)[1].

ورؤية النّبيّ محمد (ﷺ) لإدريس عليه السلام في السماء الرابعة كما في الصحيحين تشُدّ النظر إلى أخلاق بني إسرائيل، وإفسادهم الأوّل في فلسطين حيثُ عبدوا الأوثان، واتّخذُوا (البَعْلَ) – وهو اسم صنم – إلهًا من دون الله عزّ وجلّ، كما في سورة الصافات حكايةً عن إلياس الذي هو إدريس عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ {الصافات: ١٢٤ – ١٢٥}، فكانت نهايتُهم هي الزوالَ والسَّبْيَ، وهو ما سيحدث يا محمدُ في إفسادهم الثاني في فلسطين في وعد الآخرة.

---

1 العسقلاني، ابن حجر، (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، ج6، كتاب الأنبياء ص 373، دار المعرفة، بيروت.

فرؤية إدريس عليه السلام لها علاقة بأهداف رحلة الإسراء والمعراج، من تثبيت النبيّ عليه السلام، وتثبيت أمته، ولها علاقة بالأرض المقدسة بشكل مباشر، وببني إسرائيل، والصراع معهم، فإدريس عليه السلام قد كان نبيًا مرسلًا لبني إسرائيل، في الأرض المباركة (فلسطين)، وقد عانى منهم، وقاوم ضلالهم، حيثُ عبدوا البَعْل والأوثان من دون الله، ورؤية إدريس عليه السلام في السماء من شأنه أنْ يُصَبِّر محمدًا صلّى الله عليه وسلّم وأمتَه، ويحْذرَوا إفسادَهم، ويقاوموا ضلالَهم وإضلالَهم.

4. ويوسف عليه السلام من بني إسرائيل، وقد قصَّ الله تعالى قصته مع إخوته في سورة يوسف، ليتعرف النّبيّ عليه الصلاة والسلام على نفسياتهم وأخلاقهم، فيُحْسِن التصرف هو وأمته معهم.

ويوسف عليه السلام كان تحركه في الأرض الواقعة بين النيل والفرات، وقصته مع إخوته وتحرك إخوته كان في المنطقة الواقعة بين النيل والفرات، مما يلفت النظر إلى هذه المنطقة التي تَحْدُث فيها أحداث كبيرة ذات تأثير على المسلمين.

5. وعيسى عليه السلام الذي خطَّط بنو إسرائيل لقتله، ولكنَّ الله نجَّاه، ورفعه إليه، وشُبِّه لهم شخصٌ آخرُ فقتلوه، وفي هذا إشارة إلى مكر

اليهود وغدرهم، وأنهم قوم أهل خيانة وفساد، وسيكون لك معهم يا محمد أنت وأمتك جَوْلاتٌ وجَوْلات.

6. ويحيى عليه السلام، وقصته مع بني إسرائيل معروفة، وهو الذي أمره الله تعالى بأنْ يكون قويًا في الحقّ، ويثْبُت عليه، فلا تُثْنيه التهديدات عن المُضِيّ في الدعوة تحقيقًا وامتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ {مريم:12}.

وفي هذا وعظٌ للنبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم لأنْ يصبر هو وأمتُه على عدوان اليهود، فيردُّوا عدوانهم بكل قوةٍ وحزْم.

7. أمَّا آدم عليه السلام فهو أصلُ البشر، ورؤية النبي (ﷺ) له في السماء الأُولى عودة إلى أصل الإنسان، فهو البداية، وفي هذا تدبُّرٌ يَلْزَم محمداً (ﷺ) في حياته وحياة أمته.

والراجح أنْ يكون آدم هو أوّل مَنْ بنى المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، فتكون رؤية النّبيّ محمّد (ﷺ) له في السماء الأولى لتأكيد الارتباط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فهو ارتباط قديم يمتدّ إلى آدم عليه السلام.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: " **قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أوَلّ أيْ للصلاة فيه؟ قال: المسجد**

الحرام، فقلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم حيثما أدركت الصلاة فصلِّ، والأرض لك مسجد"[1]

ويقول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (واختُلِف في أوّل مَنْ أسَّس بيت المقدس، فرُوي أنّ أوّل مَنْ بنى البيت الحرام آدم عليه السلام، فيجوز أنْ يكون ولدُه وَضَع بيت المقدس من بعده بأربعين سنة)[2].

وأورد ابن حَجَر في الفتح، "كتاب أحاديث الأنبياء": (إنّ أوّل مَنْ أسَّس المسجد الأقصى آدمُ عليه السلام)، وقال أيضًا: وقد وجدتُ ما يشهد ويؤيد قول من قال: إنّ آدم عليه السلام هو الذي أسَّس كِلا المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب (التِّيجان) أنَّ آدم عليه السلام لمّا بنى الكعبة، أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأنْ يبنيه، فبناه، ونَسَك فيه)[3].

---

1 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب 10، ح3366، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، أول الكتاب، ح520

2 القرطبي، أبو عبد الله محمد، (الجامع لأحكام القرآن الكريم)، المجلد الرابع، ص148، دار الحديث، القاهرة، 2002م.

3 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج6، ص407، دار المعرفة كتاب الأنبياء،

8.وإبراهيم عليه السلام صاحب الملّة التي عليها محمد (ﷺ)، فهو أبو الأنبياء، وهو أبو إسماعيل عليه السلام، الذي جاء من نسله محمدٌ (ﷺ)، وهو الذي يقول الله تعالى في شأنه: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ {آل عمران: ٦٧}، فهو في أعلى السموات بما يمثّل من توحيد وحنيفية سمحة.

9. ورؤية النبي محمّد (ﷺ) لإبراهيم عليه السلام هي رؤية الحق والإسلام والملّة الأولى، مع ما لإبراهيم عليه السلام من ارتباط وثيق بالأرض المباركة فلسطين، فهي الأرض التي هاجر إليها عليه السلام عندما قال: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ {الصافات: ٩٩}، فهي خير الأرض، وأهلها خيار أهل الأرض، وهو ما أخبرنا به رسول الله (ﷺ) في الحديث الصحيح: عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ الْأَرْضِ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ..)** [1].

1 أخرجه أبو داوود(3/4)، (2482)، وأحمد(2/190)(6871)، والطيالسي (30275)(2293)، والحاكم (4/533) (8497)، وأبو نعيم في الحلية(6/53)، ونعيم بن حماد في الفتن(2/464)(1308)، قال ابن حجر في فتح الباري (11/387): "إسناده لا بأس به"، وفي هداية الرواة(5/497) أشار إلى أنه حسن كما في المقدمة، قال أحمد شاكر في مسند أحمد(11/153): " إسناده صحيح"، وصححه الألباني في الصحيحة(3203)

إنَّ هؤلاء الأنبياء جميعاً الذين رآهم النبي محمّد (ﷺ) في السموات لهم ارتباط بالأرض المباركة (فلسطين)، إقامةً، أو هجرةً، أو زيارةً، ولهم ارتباط ببني إسرائيل انتساباً، أو دعوةً ورسالة.

ولا شكَّ أنَّ رؤية النبي (ﷺ) لهؤلاء الأنبياء في رحلة المعراج من الآيات الكبرى التي كانت من أجلها الرحلة.

ثانياً: إمامة النّبيّ محمد (ﷺ) بالأنبياء:

فقد ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النبيّ (ﷺ) صلّى إماماً بجميع الأنبياء في المسجد الأقصى في رحلة الإسراء والمعراج، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(... وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ[1]، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءة[2]، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**

بعد أن تراجع عن تضعيفه، انظر مراجعات العلامة الألباني(1/4)(28)، وصحيح الترغيب(3091).

1 نقول: رَجلٌ ضَرْبٌ، أيْ نحيف خفيف اللحم، معشوق القدّ، ماضٍ في الأمور. خفيف في قضاء الحاجة (المعجم الوسيط، ج1، ص537).

2 الرجل الشنوءة: المتقزّز من المعايب، المتباعد عنها، وقوله: كأنه من رجال شنوءة، حيٌّ من اليمن يُنسبون إلى شنوءة، وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله ، (تحفة الأحوذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العالمية، ص92)،

عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ – يَعْنِي نَفْسَهُ – فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ).[1]

ولا شكّ أنَّ هذه آية من آيات الله الكبرى، أراها لنبيِّه (ﷺ)، ويُمكننا الوقوف عند بعض الدّلالات فيها:

1. مكان الصلاة هو المسجد الأقصى في فلسطين، ليكون الأقصى وفلسطين بعد ذلك في ضمير كلِّ المسلمين، في كلِّ العصور، فها هُم الأنبياء جميعاً ينتظرون النبي (ﷺ) في بيت المقدس فيَؤُمُّهم بحضور جبريل عليه السلام، وغيره من الملائكة.
2. هذه الصلاة لجميع الأنبياء بإمامة النبي (ﷺ) لم تحدث في مكان غير المسجد الأقصى وفلسطين، ولم تحدث لنّبيٍّ غير محمدٍ (ﷺ).
3. فلسطين المباركة ستكون في أقصى الزمان وآخره لأتباع محمد (ﷺ) الإمام الخاتم والنبي القائد، والمسجد الأقصى سيكون مركز الخلافة الخاتمة.

---

1 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسبح ابن مريم، والمسيح الدجال، ح 172.

4. عند نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، فإنَّه سيكون على دين ذلك الإمام، وهو الرسول محمد (ﷺ)، ويحكم بشريعته الخاتمة.

ثالثاً: رؤية النِّيل والفُرات:

ومن الآيات الكبرى التي رآها النبي (ﷺ) في رحلة الإسراء والمعراج، ولها علاقة بالأرض المباركة فلسطين رؤيته عليه الصلاة والسلام لنهري النيل والفرات بالذات من دون كلِّ أنهار الأرض في هذه في الحياة الدنيا.

جاء في خبر الإسراء والمعراج أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حدث صحابته عنه،: فيما يرويه أنسُ بن مالك رضي الله عنه، وفيه: **(... ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ..)**.[1]

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ح 3887، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات، وفرض الصلوات، ح 164.

- فهل يُعقَل أنْ تكون رؤية النبيّ صلّى الله عليه وسلم للنيل والفرات في السماء من باب التسلية أو التمتع؟!
- أمْ أنّ النيل والفرات يرمزان إلى خصوصية المكان في الأرض، وإلى إشارات لأحداث كبرى تجري بين هذين النهرين؟

ويبدو لي أنَّ هذه آية من الآيات الكبرى المتضمَّنة في الآية ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ **{الإسراء: 1}**، ليعرف المسلمون أنّ المنطقة الواقعة بين هذين النهرين (النيل والفرات) هي منطقة صراعات مستمرة مع بني إسرائيل، وأنّ بني إسرائيل سيكون لهم إفسادٌ ثانٍ في الأرض المباركة فلسطين وما حولها، وهو ما نراه الآن فعلاً، والله أعلى وأعلم.

رابعاً: رؤية الشجرة الملعونة في القرآن:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ {الإسراء: ٦٠}.

لقد رأى النبيُّ (ﷺ) في رحلة الإسراء والمعراج بعض الآيات التي كانت فتنة للناس، فهُم بين مُصدِّق، أو مُنكِر، أو قادح، ومن بين الآيات الكبرى التي رآها النبيُّ (ﷺ) في هذه الرحلة العظيمة رؤيته للشجرة الملعونة في القرآن.

وقد اختلف المفسرون في تحديد هذه الشجرة الملعونة في القرآن، لكنّها لن تكون منفصلة عن هذه الرحلة بحال، بل إنّها تضيف إلى الرحلة معرفة وغيباً ويقيناً.

- **فما هذه الشجرة الملعونة في القرآن؟**
- **وبأيّة صيغةٍ لُعِنت؟**
- **ومن الذي لعنَها؟ ولماذا؟**

إننا عندما نعود إلى القرآن الكريم، ونُفتِّش عن شجرة حقيقية تَمَّ لعنها في القرآن، لا نجد هذه الشجرة، وعند الرجوع لأقوال المفسرين نجد كلاماً عن شجرة الزقوم، حيث يرى بعضهم أنها هي الشجرة الملعونة في القرآن!.

وهذا كلام لا نسلِّم به، فهو مجرد تأويلات لا تكاد تجد ما تتقوَّى به من الأدلَّة، ونحن بحاجة إلى إعادة التدبّر والتأمّل في قوله تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ {الصافات: ٦٢ ــ ٦٥}.

فليس في الآيات ما يشير من قريب أو بعيد إلى أنّ شجرة الزقوم ملعونة، ولم يرِدْ في كلِّ القرآن الكريم لعنٌ لها، بل هي من جنود

الله تعالى، يعذِّب بها الكافرين والمجرمين، وحالها كحال النار، والجحيم، والمُهْل، ومقامع الحديد، وسرابيل القطران، وخزنة جهنم.... ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ الفتح: ٧)، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ {المدثر: ٣١}.

إنَّ شجرة الزقوم لم ترتكب ذنباً لتُلْعَن به، وهي طعام الأثيم لأهل النار، ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ {الدخان: ٤٣ - ٤٥}، ولذا فلا نستطيع أنْ نسلِّم بلعنها.

إذنْ فما هذه الشجرة الملعونة في القرآن؟

- جاء في تفسير أبي القاسم الكعبي البَلْخي: (والشجرة الملعونة في القرآن يجوز أنْ يكون المُراد بها الكفار) [1].
- وفي تفسير أبي بكر الأصمّ: (الشجرة الملعونة في القرآن هي اليهود) [2]

---

1 البلْخي، أبو القاسم الكعبي، (تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي)، ص256، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

2 الأصم، أبو بكر، (تفسير أبي بكر الأصم)، ص177، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

- وفي زاد المسير لأبي الفرج بن الجوزي يُورِد ثلاثة أقوال في تفسير الشجرة الملعونة، أحدها: (إنّ الشجرة كناية عن الرجال، على ما ذكرنا عن سعيد بن المسيب) (1).
- وبهذا قال الماوردي في تفسيره (النكت والعيون): (الشجرة الملعونة في القرآن: إنّها اليهود، وإنَّ الشجرة كنايةٌ عن المرأة، والجماعة أولاد المرأة، كالأغصان للشجرة) (2).

وهذه أقوال تستريح لها النفس، فاليهود شجرةٌ ملعونةٌ في القرآن الكريم بصورة واضحة، إذ يقول الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ ﴾ {المائدة: ٧٨}.

والناس في حياتهم يستخدمون كلمة شجرة للتعبير عن النسل والتفرع، وقد عبَّر القرآن الكريم عن الإسلام بالشجرة الطيبة ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي

---

1 ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، (زاد المسير في علم التفسير)، المجلد الخامس، ص42، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

2 الماوردي، أبو الحسن علي، (النكت والعيون ..تفسير الماوردي) الجزء الثالث، ص254، دار الكتب العلمية، بيروت.

ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ {إبراهيم: ٢٤ -25 }، فلا عجَب أنْ يُعبّر عن اليهود بالشجرة الملعونة.

إنَّ تعبير القرآن الكريم عن هذه الرحلة بالرؤيا وليس الرؤية – لأنّ الرؤية تدل على إبصار الحاضر، بينما الرؤيا تدل على إبصار المستقبل– يدلُّ على أنّ رؤيا النبيّ (ﷺ) لليهود (الشجرة الملعونة) في هذه الرحلة كان بمثابة كشفٍ غيبيٍّ لما سيقترفه اليهود في الأرض المقدّسة، وما سيقترفونه مع أمة الإسلام على مدى القرون، وهو ما جعل النبي (ﷺ) كثيراً ما يحدثنا عن الشام، وعن الأرض المباركة فلسطين، وعن الأقصى، وبيت المقدس، ويحثُّ المسلمين دائماً على الصبر والرباط، والدفاع عن هذه الأرض، لأنه رأى بعينيه ما ينتظر الأرض المباركة فلسطين، وهذه الأمة من أذى اليهود.

وهو نفسه ما نبّهَنا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى عن اليهود: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ {آل عمران: ١١١}، فالمواجهة مع اليهود حتمية، والصراع طويل، لكن النصر للفئة المؤمنة.

خامساً: رؤيته عليه الصّلاة والسّلام لعمود الكتاب:

وقد حدثتْ ليلة أُسرِي به عليه الصلاة والسلام، فعن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(رأيتُ ليلةَ أُسري بي عمودًا أبيضَ كأنَّه لؤلؤةٌ تحملُه الملائكة, قلتُ: ما تحمِلون؟ قال: عمود الإسلام، أُمِرنا أنْ نضعه بالشام, وبينا أنا نائمٌ إذ رأيتُ الكتابَ اختُلس من تحت وسادتي, فظننتُ أنَّ الله قد تخلَّى من أهل الأرض, فأتبعتُه بصري, فإذا هو نورٌ بين يديّ، حتَّى وُضِع بالشام)** [1].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ)**.[2]

---

1 مسند الشاميين للطبراني(590)، ومجمع الزوائد (16644)، قال المنذري في الترغيب والترهيب(31/4): رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الرغيب والترهيب (3092)، وصححه البيهقي في دلائل النبوة (6/447).

2 مسند أحمد (36/ 62) ح 21733. وصححه الأرناؤوط، وأخرجه البزار في مسنده (10/ 48) ح 4111.

وفي رواية عن عَمْرَو بْن الْعَاصِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي، أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ)**.[1]

فالنبيّ (ﷺ) يرى عمود الكتاب تحمله الملائكة إلى الشام في نفس ليلة الإسراء التي أسري فيها إلى بيت المقدس، ليكون مقدِّمةً لما سيُريه الله تعالى من الآيات في هذه الرحلة العظيمة، فهو يرى ما سيحدث في الشام، ويرى أهل الشام، ويشهد لهم بالإيمان عند وقوع الفتن، وكأنَّ عمودَ الكتاب يرمز إلى الإيمان والقوة والثبات، وأنَّ عمود الكتاب مكانُه الأرض المباركة فلسطينُ، ومستقرُّه الشام، ومعلومٌ أنَّ أعظم الفتن التي يتعرض لها المسلمون تكون في الشام، وأنَّ أشدَّ هذه الفتن يكون وراءها بنو إسرائيل كما نرى بأعيننا، لذا فإنَّ النبي (ﷺ) يبشّر أهل الشام بأنّهم مكفولون من الله تعالى، وأنَّ الطائفة الظاهرة على الحق ستكون منهم، وأنَّ عزّة الإسلام ستكون على أيديهم بإذن الله.

1 مسند أحمد (29/ 310) ح 17775. وصحّحه الأرناؤوط.

والله تعالى إذْ يُري نبيَّه محمداً (ﷺ) هذه الآياتِ وغيرَها، فإنّما هي لحِكَم عديدة، وليزداد إيماناً وصبراً ويقيناً هو وأمته بأنّ النصر للإسلام، وأنّ العدوَّ الأكبر للمسلمين دائماً هم اليهود، كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ {المائدة: ٨٢}، وإنَّ الأرض المباركة فلسطين ستكون في النهاية ظاهرة على اليهود.

ولا شكّ أنَّ هناك آياتٍ أخرى رآها النبي (ﷺ) في رحلة الإسراء والمعراج، لكنني اكتفيت بما له علاقة مباشرة بالأرض المقدّسة المباركة للعالمين فلسطين، وإفساد بني إسرائيل فيها، وعلوّهم الكبير، وزوال هذا الإفساد، وفوز المسلمين وانتصارهم وظهورهم.

ولعلّه من الضروري التنبيه إلى أنَّ معجزة الإسراء والمعراج قد جاءت في آخر العهد المكي بين يدي الهجرة، وانتقال الإسلام من الدعوة إلى الدولة، وهذه المرحلة لها تحدياتٌ كبرى مع اليهود في المدينة، ومع المشركين في الجزيرة، ومع القوى العالمية من الفرس والروم، فضلًا عن تحدِّي قريشٍ نفسها، فلزم أنْ يرى النبيُّ عليه السلام من الآيات الكبرى ما يتسلّح به لمجابهة المرحلة الدامية في المدينة، إذْ

إنّه في أقلَّ من عشْر سنين قد عَقَدَ اللّواءَ لسبعٍ وعشرين غزوةً، وستٍّ وخمسين سريّةً على الأقلّ.

وممّا يُسْتَأْنَس به في ذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أرى سيدنا موسى عليه السلام من آيات ربه الكبرى حين بعَثَهُ إلى فرعون الذي طغى في البلاد، فأكثر فيها الفساد، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ {طه: ٢٣ - 24}.

وخلاصة الأمر أنَّ النبيّ (ﷺ) رأى في رحلة الإسراء والمعراج الآيات الكبرى التي تجعله مطمئناً على الشام وفلسطين، وأنَّ هذه الأمة سيكون لها إخفاقاتٌ وكبواتٌ وتراجعات، وأنّه يلزمها الكثير من الإعداد، وبذل التضحيات، واحتمال الكثير من الضّنَك، لكنّها في النهاية إلى صعود وارتقاء، وأنَّ بني إسرائيل – هذه الشجرة الملعونة – إلى زوالٍ واندحار بإذن الله تعالى.

الوقفةُ الرابعةُ

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾

يقول الرازي في التفسير الكبير ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، أيْ أعلمْناهم وأخبرناهم بذلك، وأوحينا لهم[1].

ويقول الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: وتعدية "قضينا" بحرف إلى، لتضمين "قضينا" معنى "بلغنا"، أيْ: قضينا وانتهينا، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ {الحجر: ٦٦ }[2].

فالله تعالى بعلمه القديم يعلم أنَّ بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين، وهو يحذرهم ويوحي إليهم في التوراة أن هذا سيكون.

ومعلوم أنَّ علم الله بمعصية العصاة لا يعني رضاه عن معاصيهم، بل إنهم يتحمّلون عواقب هذه المعاصي، وسيحاسبهم الله عليها في الدنيا، أو في الآخرة.

1 الرازي، فخر الدين، (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) المجلد العاشر، ص354، دار الحديث، القاهرة، 2012م.

2 ابن عاشور، الطاهر محمد، (تفسير التحرير والتنوير) المجلد الخامس، ص31، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

يقول سيد قطب: وهذا القضاء إخبار من الله تعالى بما سيكون منهم، حسب ما وقع في علمه الإلهي من مآلهم، لا أنه قضاء قهري عليهم، تنشأ عنه أفعالهم، فالله سبحانه لا يقضي بالإفساد على أحد، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ {الأعراف: 28} [1].

والكتاب هنا التوراة، وهو الكتاب الذي أُنزل على نبيِّ الله موسى عليه السلام، وهو نفس الكتاب المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ {الإسراء: ٢}.

يقول سيِّد قطب: ولقد قضى الله لبني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه لموسى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين [2].

ولا يستقيم أنْ نقول: إنَّ الكتاب هنا هو القرآن الكريم، فالقرآن الكريم لم يكن نازلًا في زمن موسى عليه السلام، ولم يكن بين أيدي بني إسرائيل، والذي كان بين أيديهم يقرؤون فيه وَحْيَ الله إليهم هو التوراة لا غير.

ولا يَصْلُحُ أيضاً أنْ نقول: إنَّ الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ، أو الكتاب المكنون، لأنّ المراد أنْ يعلم بنو إسرائيل في كتاب بين

1 قطب، سيد، (في ظلال القرآن) المجلد الرابع، ص2213، دار الشروق، القاهرة.

2 قطب، سيد، (في ظلال القرآن) المجلد الرابع، ص2213، دار الشروق، القاهرة.

أيديهم بهذا القضاء، فيكونوا مسؤولين أمام الله تعالى عن أيِّ إفساد يقع منهم في الأرض المباركة.

وإنَّما أخبرنا الله تعالى بهذين الإفسادين لبني إسرائيل في القرآن الكريم، لأنهما يخصَّانِ المسلمين، وخاصّة الإفساد الثاني منهما، كما سنرى في الوقفات القادمة بإذن الله تعالى.

الوقفةُ الخامسةُ

﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾

في الآية مبالغةٌ في تأكيد وقوع الإفساد من بني إسرائيل، فحرف الّلام في ﴿لَتُفۡسِدُنَّ﴾ للقسم، وهو للتوكيد، والنّون المشدّدة المتَّصلة بالفعل المضارع للتوكيد، فيكون وقوع الإفساد منهم في النَّص مرّتين .

يخاطب الله تعالى في هذه الآية بني إسرائيل مؤكداً لهم أنهم سيفسدون في الأرض المباركة (فلسطين) إفساداً كبيراً مرتين في عصرين مختلفين، وسيكون لهم في كلّ مرّة علوٌ كبير.

وليس المقصود بالإفساد هنا الإفساد الفردي، أو ما يُعرَف بإفساد الآحاد، فهذا يحدث في كل المجتمعات، حتى وإنْ كانت مجتمعاتٍ مؤمنةً في مجموعها، ولكنّ الإفساد المقصود هنا هو الإفساد الجماعي (المجتمعي)، والذي يظهر في صور مختلفة، كما يلي:

1. الإفساد السياسي.
2. الإفساد الاقتصادي.
3. الإفساد العسكري.
4. الإفساد الأخلاقي.

5.الإفساد القانوني.

6.الإفساد الديني.

7.الإفساد التشريعي.

8.الإفساد الإعلامي.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

الأرض المقصودة هنا يجب أنْ تكون معروفة ومحددة لبني إسرائيل في زمان سيِّدنا موسى عليه السلام، ولا يمكن أنْ يكون المراد كلّ الكرة الأرضية، فهذا يكاد يكون مستحيلاً، وغيرَ واقعيّ.

ولا بدَّ أنْ يكون في هذه الأرض المسجد الأقصى، لقوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ {الإسراء: 7}، فالمقصود هنا هو المسجد الأقصى (بيت المقدس) في المرَّتين، وهو ما أشارت إليه الآية الأولى في السورة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ {الإسراء: 1}.

ولذا، فإنَّ كلَّ توجيهٍ لكلمة (الأرض) هنا بعيداً عن فلسطين، أو عن المسجد الأقصى، نوعٌ من العبث، وهو تعسُّفٌ لا يفيد.

أيْ إنّكم يا بني إسرائيل سيقع منكم هذا الإفساد الجماعي(المجتمعي) في الأرض المباركة(فلسطين) مرتين في عصرين

مختلفين وزمنين متباينين، كما سيتضح لنا عند تأمّل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ {الإسراء: ٦}.

﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ :

ومع الإفساد المجتمعي لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) سيقع منهم علوٌ كبير في المرتين، والعلوُّ هنا علوُّ استكبار وطغيان، وقتل وتجبُّر، وغلَبة وظلم، كما في الآية: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ {القصص: ٤ }.

فالعلوُّ عادة ما يكون معه الإفساد، والفساد، كما في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ {القصص: ٨٣ }.

إنَّ علو فرعون هو طغيانه وظلمه وإفساده، ومثله العلوُّ الذي سيقع من بني إسرائيل في المرتين: قتلٌ، وظلمٌ، وطغيانٌ، وبَغْيٌ، وانحرافٌ في كلِّ صور الإفساد المذكورة.

إنَّ هذه الآية تُظهر لنا أنَّ عُلُوَّ بني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) في المرتين سيكون علوًّا كبيراً، يكون فيه الاستكبار كبيراً، ويكون فيه الظلم كبيراً، والقتل كبيراً، والعدوان كبيراً.

الوقفةُ السَّادسةُ

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا ﴾

اجتهد المفسرون قديماً وحديثاً في تحديد كلٍّ من الإفساد الأول، والإفساد الثاني لبني إسرائيل، لكنهم متفقون تقريباً على تحديد الإفساد الأول، حيث إنَّ هذا الإفساد قد زال وانتهى على يد (نبوخذ نصَّر) ملكِ بابل في 586 ق. م الذي قتل الآلاف من بني إسرائيل، ومثلهم معهم من السبايا، وجاس خلال الديار المقدسة، وخرّب كلّ شيء أو حرّقه.

يقول الرازي: (إنّ بني إسرائيل تعظَّموا وتكبَّروا واستحلُّوا المحارم، وقتلوا الأنبياء، وسفكوا الدماء، وذلك أوّل الإفسادين، فسلّط الله عليهم (بختنصّر)، فقتل منهم أربعين ألفاً ممن يقرأ التوراة، وذهب بالبقية إلى أرض نفسه، أيْ بابل) [1].

ويقول القرطبي: (هم أهل بابل، وكان عليهم بختنصّر في المرة الأولى، قاله: ابن عباس) [2].

---

1 الرازي، فخر الدين، (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) المجلد العاشر، ص354، دار الحديث، القاهرة.

2 القرطبي، أبو عبد الله محمد، (الجامع لأحكام القرآن) المجلد الخامس، ص555، دار الحديث، القاهرة، 2002م.

ويقول الطاهر بن عاشور: (الأشوريّون أهل بابل وهم جنود بختنصّر)[1]، وكذلك قال جمعٌ غفير من المفسرين منهم: (مقاتل في تفسيره، والنسفي في تفسيره، والسعدي في تفسير كلام المنان، وابن كثير في تفسير القرآن الكريم، والزمخشري في الكشاف، وأبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير، والزجّاج في معاني القرآن وإعرابه، والدكتور محمد سليمان الأشقر في زبدة التفاسير، ومحمد أبو زهرة في زهرة التفاسير، وأبو البركات التلوي في أبدع البيان لجميع آي القرآن، والمرغني في تاج التفاسير، والبغوي في معالم التنزيل، ود. وهبة الزحيلي في التفسير المنير، وغيرهم كثير).

ومن علماء أهل الأرض المباركة المعاصرين الذين تناولوا تفسير هذه الآيات من سورة الإسراء بشكلٍ منطقيٍّ وعلميٍّ مقنع، كلٌّ من الدكتور يونس الأسطل، والأستاذ بسَّام جرَّار حفظهما الله.

يقول الدكتور يونس الأسطل: (إنَّ المرجَّح أنَّ تحطيم الفساد الأول قد مضى، حيثُ سَلَّط الله عليهم كفرة المجوس من البابليين والأشوريين، وجاس بهم (نبوخذ نصَّر) خلال ديار اليهود، وتركها خاوية على عروشها مائة عام، كما في قصة العُزَير أو غيره، حين مرَّ

1 ابن عاشور، الطاهر محمد، (تفسير التحرير والتنوير) المجلد السابع، ص31، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

على بيت المقدس وهي خاوية على عروشها، وتساءل: أنّى يحيى هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، فوجد العمران قد أُعيد من جديد، فقال: أعلم أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير) [1].

ويقول الأستاذ بسَّام جرَّار: (وهكذا نشأت مملكة (إسرائيل) في الشمال ومملكة (يهوذا) في الجنوب وعاصمتها القدس، وكان الفساد، فكان الجوس من قبل الأعداء الذين اجتاحوا المملكتين في موجات بدأها المصريون، وتولى كُبْراها الأشوريون والكلدانيون القادمون من جهة الفرات، ففي سنة 722 ق. م هاجم الأشوريون مملكة (إسرائيل) في الشمال ودمروها، وفي سنة 586ق.م زحف الجيش البابلي على مملكة يهودا في الجنوب، وقَضَوْا عليها...) [2].

ويُمكنني تلخيص ما جاء في كتب التفســـير القديمة والحديثة عن الإفســـاد الأول لبني إسرائيل كما يلي:

من المعروف أنّ الله تعالى لم يكتب لموسى عليه السلام دخول الأرض المقدسة (فلسطين) حين خذله بنو إسرائيل، ولم يعدْ يملك إلا

---

1 الأسطل، يونس، (فلسطين من منظور إسلامي)، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر: فلسطين.. لن يطول ليل الغاصبين، في ذكرى النكبة الحادية والستين، 2009/05/21م، 25 جمادي الأولى 1430هـ.

2 جرار، بسام، (زوال إسرائيل 2022م... نبوءة أم صدف رقيمة)، ص9، ط3، 2002م.

نفسه، وأخاه هارون، وأنّ يوشع بن نون عليه السلام بعد فترة التيه هو الذي دخل فلسطين، ومعه الأسباط من بني إسرائيل، وظلَّ الأمر مستقراً لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) إلى أنْ تُوفي سليمانُ عليه السلام سنة 935 ق. م، وتولى ابنُه المُلك بعده، وسرعان ما تمرَّد عليه شعبُه، وخلعوا طاعته.

وانقسمت دولته إلى دولتين:

أ. دولة في الشمال: وعاصمتها (سبسطية) وكانت تضُمُّ عشرة أسباط.

ب. دولة في الجنوب: وعُرفَت بيهوذا، وعاصمتها القدس، وتضمُّ سِبطين، هما سبط يهوذا، وسبط بنيامين.

وكان أوَّلُ ملكٍ على مملكة إسرائيل في الشمال رجلًا يُقال له (يربعام)، خاف من رجوع رعاياه إلى طاعة ابن سليمان في مملكة يهوذا في الجنوب، إذا صعدوا إلى القدس في الأعياد، ليعبدوا الله، ويقرِّبوا ذبائحهم هناك، فأقام في مملكته عجلين من ذهب، وأمر بعبادتهما، ورتَّب لهم أعياداً احتفاليةً وكَهَنَة.

وقامت حروب كثيرة بين ملوك هاتين المملكتين لبني إسرائيل، وكان يَتَخَلَّلُهما من الملوك مَنْ ينزع عبادة الأوثان، إلا أنّه لا يلبث الحال حتى يأتي مَلِكٌ جديد، فيُعيد الوثنية.

واستمرَّتْ مملكة إسرائيل نحواً من مائتين وخمسين سنة، وفي نهاية أمرهم عظمت خطيئاتهم، فسلَّط الله عليهم ملك أشور، ففتح السامرة – دولة الشمال – وسباهم إلى بابل، وانقرضت مملكة الأسباط العشرة، ولم يُسمَع ذِكرُهم بعد.

وأما مملكة (يهوذا) فبقيت بعد انقراض مملكة (إسرائيل) ما يزيد على عشرين عاماً، وفي أواخر أيامها قام فيها ملك شرير، فزحف إليه ملك بابل (نبوخذ نصَّر)، فسبى قسماً من شعبه، وكان هذا هو السَّبْيَ الأول.

ثم جاء بعد ذلك الملك الشرير ابنه، فسار على طريقه أبيه، فعاد إليه مَلِكُ بابل (نبوخذ نصَّر) وأَسَرَه هو وآله وجنوده، وقسماً من الشعب، وكان هذا هو السّبْيَ الثاني بعد ثماني سنين من السّبْي الأول، ثم قام فيهم ملِكٌ أكثر شراً وسوءاً ممن تقدَّم، وهو آخر ملوكهم، واسمه (صِدْقيا).

وفي آخر أيامه حاصر (نبوخذ نصَّر) بيت المقدس، ودخل على (صِدْقيا) وقلع عينيه، وقيَّده، وأسَرَه إلى بابل، وأحرق المدينة، وسبى كلَّ شعب مملكة (يهوذا) ما عدا مساكين الأرض، وهذا هو السّبْيُ الثالث والأخير، وكان في سنة 586 ق.م، وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ٥ ﴾ {الإسراء: ٥} والله أعلى وأعلم.

الوقفةُ السَّابعةُ

﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾

اختلف العلماء والمفسرون في المُراد بقوله تعالى: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ {الإسراء:5}، وفي تحديد هؤلاء العباد، على أقوال متابينة، وتأويلات مختلفة، لكنَّ بعض هذه الأقوال والتأويلات مرفوضة غريبة، لمخالفتها للحقائق التاريخية، ولمنطوق الآية الكريمة ومفهومها، ومنها هذان التأويلان:

التأويل الأول:

حاول بعض المفسرين الكرام ممن يرَوْن أنَّ الإفساد الأول لبني إسرائيل كان في المدينة المنورة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أنْ يُثبتوا أنَّ المُراد بقوله تعالي: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ {الإسراء: ٥} هم المؤمنون المتصفون بصفات التقوى والصلاح.

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسيره: ((وبعضهم يسقطها (أول مرة) على بختنصّر، ومن كان معه، تفسيراً لقوله ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَـٰهُمَا ﴾ {الإسراء:5 } فقد غزاهم، واستباح أموالهم ونساءهم، وكان هذا قد وقع، لكنّ بختنصّر، ومن كان معه لا يوصفون

بأنهم عباد الله، بل هم جبابرة، وعُبّاد للشياطين، والله يقول: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ {الإسراء: ٥}، لذلك كان الراجح أنّ الفساد الأول هو فساد اليهود الذي كان في عهد النبي (ﷺ) بعد مجيء القرآن الكريم، فأرسل الله عليهم النبيّ وأصحابه فقاتلوهم وأَجْلَوْهم عن أرض الحجاز، فبنُو النضير وبنُو قينقاع قد أُجْلُوا من الجزيرة العربية))[1].

وكلام الدكتور النابلسي هذا يتعارض مع الحقائق التاريخية الثابتة من أوْجُه ثلاثة:

1. لم يكن لبني إسرائيل دولة أو مملكة في المدينة المنورة على مرِّ التاريخ، لا قبل النبي (ﷺ) ولا بعده.
2. إنَّ المدينة المنورة لم تكن ساحةً للإفساد الإسرائيلي وعلوِّهم الكبير في زمن النبي (ﷺ)، بل كانوا خاضعين للدولة الإسلامية، وكان بينهم وبين المسلمين عهدٌ معروف، وميثاقٌ مكتوب.
3. من المعلوم بداهةً أنَّ إفساد بني إسرائيل في المرتين مكانُهُ الأرض المقدسة (فلسطين) وأنَّ خصوصية المسجد الأقصى لا بدَّ أنْ تكون حاضرةً في المرتين لقوله تعالى: ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ

1 النابلسي، محمد راتب، (تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة) المجلد الخامس، ص199، مؤسسة الفرسان للنشر التوزيع، الأردن، 2016م.

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ {الإسراء: ٧}، والنبيُّ (ﷺ) لم يدخل على اليهود في المسجد الأقصى لا في إفسادهم الأول ولا الثاني.

مما يجعلني أذهب إلى عدم قبول هذا التوجيه للآيات الكريمة، لمخالفته الحقائق على الأرض، ولمخالفته الحقائق التاريخية المعروفة، ولمخالفته لمنطوق ومفهوم الآية: ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ {الإسراء: ٧}.

التأويل الثاني:

ومن المفسرين من جعل الإفساد الأول لبني إسرائيل قد وقع في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنّه هو الذي أزال إفسادهم وقضى عليه، وهذا غير صحيح أيضاً من أوْجُهٍ أربعة، كما يلي:

1. لم يكن لبني إسرائيل أيُّ شكلٍ من أشكال الفساد أو العلُوِّ في فلسطين في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يكن بنو إسرائيل هم الذين يسيطرون على بيت المقدس، ولا على فلسطين، بل كانوا لا يزالون في الشتات من بعد زوال إفسادهم الأول على يد نبوخذ نصَّر.

2. عندما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس كان الذين يحكمون هناك هم النصارى وليس اليهود، وقد تسلّم عمر بن الخطاب مفاتيح بيت المقدس بنفسه من حاكمها النّصراني (صفرونيوس).

3. إنَّ العُهدة العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُعطيت للنصارى، وليس لليهود.

4. إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل بيت المقدس سِلْماً، وليس حرباً، ولم يحدث منه جَوْس خلال الديار، كما في الآية: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾ {الإسراء: ٥}، فلا وجْهَ للقول بأنَّ الإفساد الأول كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ :

كلُّ المفسرين الذين قالوا بأنَّ زوال الإفساد الأول لبني إسرائيل كان على يد ملك بابل وجنوده لم يفهموا من قوله تعالى: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ {الإسراء: ٥} أنّهم أهل إيمان وإسلام وصلاح، بل على العكس، فقد فهموا أنّهم كفار.

يقول السعدي في تفسيره: (واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلّطين، إلا أنهم اتفقوا على أنهم قوم كفار) [1].

ويقول الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: (والمقصود بعباد الله هنا الأشوريون) [2]، ومعلوم أنَّ الأشوريين كانوا من أهل الشرك.

وقوله تعالى: ﴿ لَّنَآ ﴾ ضمير متصل بحرف الجر(اللام)، وهو تركيب لا يفيد التزكية والامتداح والتقريب، بل يفيد الملكية، فقوله تعالى: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ {الإسراء: ٥} أيْ: إنّهم مملوكون لنا، ويتصرَّفون وفق مشيئتنا، ومن صفاتهم كونُهم ﴿ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾ {الإسراء:5}، أما التزكية والامتداح والتقريب، فنجده في الضمائر المتصلة بالأسماء، كما في قوله تعالى مقرِّبًا نبيّه محمدًا صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ﴾ {الإسراء: 1}، وكما في قوله تعالى عن النبي داود عليه السلام ممتدحًا وشاكرًا: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا

---

1 السعدي، عبد الرحمن، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ص453، دار ابن الجوزي، القاهرة.

2 ابن عاشور، محمد الطاهر، (تفسير التحرير والتنوير) المجلد الخامس، ص28، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ {ص: ١٧ }، وكما في قوله تعالى عن عباده المتوكّلين على الله تعالى فلا يجعلون للشيطان سلطانًا عليهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ {الإسراء: ٦٥}.

وإنَّ قوله تعالى: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ لا يعني أنَّهم مؤمنون بالضرورة، للأسباب التالية:

أولاً: وردت كلمة **(عباد)** في سياقات عديدة في القرآن الكريم، ومنها ما يدلُّ على فسق هؤلاء العباد أو كفرهم، كما في الآيات التالية:

أ- ﴿ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ {الفرقان: ١٧}، وواضح أنهم ضالُّون، ولا يقول أحدٌ بأنّهم مؤمنون أو مهتدون.

ب- ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ {الزمر:53 }، فهم مسرفون على أنفسهم بالمعاصي.

ت- ﴿ نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ {الشورى:52}، فهناك عبادٌ لم تحدثْ لهم الهداية، فهم ليسوا مؤمنين، ولفظ العباد في الآية يشمل غير المهتدين.

ث- ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢ ﴾ {الحجر: ٤٢}، فالذين سيتَّبعون الشيطان هم عبادٌ أيضاً، ولا يقول أحدٌ بصلاحهم أو تقواهم، وذلك باعتبار الاستثناء متَّصلًا غير منقطع، أيْ أنّ ما بعد (إلّا) من جنس ما قبلها.

ثانيًا: جاء في الحديث الصحيح الذي يرويه النوّاس بن سمعان رضي الله عنه: (.. **إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ**...).[1]، أيْ أنَّ الله تعالى قد أخرج يأجوج ومأجوج الذين لا يقْوَى أحدٌ من البشر على قتالهم ومواجهتهم، لكثرتهم وقوّتهم، ومعلومٌ لكلِّ المسلمين أنَّ يأجوج ومأجوج ليسوا مسلمين أو مؤمنين، لكنّهم عبادٌ لله كما في الحديث.

ثالثًا: جاءت صفة البأس الشديد في غير سورة الإسراء لغير المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣ ﴾ {النمل: 33}، فلا يقتصر البأس الشديد على

1 صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح 2937.

المؤمنين، وهذا ما نجده نفسه في قوله تعالى: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ {الإسراء: ٥}.

رابعًا: ذكر ابن عبد ربِّه في العقد الفريد (117/1) أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد: **(واعلموا أنّ عليكم في مسيركم حفظةً من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحْيُوا منه، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إنّ عدوَّنا شرٌ منَّا فلنْ يُسلّط علينا وإنْ أسأنا، فرُبَّ قوم سُلّطَ عليهم شرٌّ منهم، كما سُلّط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفارُ المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً)**.[1]

إنَّ استشهاد عمر رضي الله عنه بالآية من سورة الإسراء يشير إلى أمرين:

أ. يعلم عمر رضي الله عنه أنَّ الله تعالى قد سمَّى المبعوثين على بني إسرائيل لإزالة إفسادهم عبادًا له، كما في قوله عزّ وجلّ:

1 ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد، (العقد الفريد)، المجلد الأول، ص117، دار الكتب العلمية، بيروت.

﴿عِبَادًا لَّنَآ ﴾ {الإسراء: 5}، ولكنّه في نفس الوقت يقول عنهم: (كفرة المجوس).

ب. يعلم عمر رضي الله عنه أنَّ الإفساد الأول لبني إسرائيل كان قبل الإسلام، ولذا فهو يستشهد بما حدث لبني إسرائيل لما أتَوا مساخط الله.

وممَّا سبق يتضح لنا أنَّ المقصودين بقوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَآ ﴾ {الإسراء:5} لم يكونوا مؤمنين، بل كانوا أهلَ كفرٍ وشرك، وهذا يؤكد القول بأنَّ الإفساد الأول لبني إسرائيل في فلسطين قد حدث قبل الإسلام، ولم يكن في عهد النبي (ﷺ)، أو بعده.

إنَّ قوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَآ ﴾ {الإسراء: 5}، يدلُّ على أنّهم خاضعون لإرادة الله تعالى فيهم، ليكونوا آلةَ تأديبٍ وتهذيب لمَنْ يخرجون عن الهداية، ويقعون في الفساد والإفساد، ولذا كانوا من أهل البأس الشديد، والقوة، والشجاعة، والجُرأة، وهو ما يُسْتَأْنَس به في ترجيح القول بأنَّ هؤلاء العباد هم البابليون والأشوريون، كما في الوقفة التاسعة بإذن الله تعالى.

الوقفةُ الثَّامنةُ

﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾

(الجَوْس): فيه معنى التردد ذهاباً وإياباً بهدف الفحص والاستقصاء والتفتيش.

وقال الزجّاج: (طافوا خلال الديار هل بقي أحدٌ لم يقتلوه) [1].

ويقول د. وهبة الزحيلي: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ {الإسراء: 5} أي تردَّدُوا وسط دياركم، لطلبكم، وقتلكم، وسبيكم، فقتلوا الكبار، وسَبَوْا الصغار، وأحرقوا التوراة، وخرَّبوا المسجد الأقصى، وبيت المقدس[2].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: (إنّهم لا يقنَعُون في حروبهم بأماكن الجند، ومعسكرات الحرب، بل يدخلون المدائن، ويجوسون خلال دورها، ويترددون خلال هذه الدور)[3].

- ﴿ خِلَٰلَ ﴾: تعني في كلِّ مكانٍ، فالخِلال هو الانفراج بين الشيئين.

---

1 الزجاج، أبو إسحق إبراهيم، (معاني القرآن وإعرابه) الجزء الثالث، ص186، دار الحديث، القاهرة، 2003م.

2 الزحيلي، وهبة، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، الجزء الثامن، ص22، دار الفكر، دمشق، ط11،2011م.

3 أبو زهرة، محمد، (زهرة التفاسير) الجزء الثامن، ص4336، دار الفكر العربي، القاهرة.

- ﴿ٱلدِّيَارِۚ﴾: ديار بيت المقدس، قاله الرازي.

- ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾:

إنَّ هذا الجوس خلال الديار يتناسب مع الفاعلين له، وهم العباد الموصوفون بكونهم (أولي البأس الشديد)، فجوسُهم قوي وعنيف، يقتحمون كلَّ مكانٍ مهما كان ضيّقاً، فهم يجوسون خلال الديار، أيْ الطرقات والأزقة، وفي الديار ذاتها، ليقتلوا مَنْ فيها، أو يسْبُوهم، أو يعاقبوهم.

فهم لم يكتفوا بالمرور خلال الديار، بل إنهم يغْدُون ويَرُوحَون ذهاباً وإياباً، مراتٍ ومرات، وفي هذا إشارة إلى انعدام فرص النجاة لدى بني إسرائيل أمام هؤلاء الذين يجوسون في كلِّ مكانٍ بحثاً عمن يقتلونه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾:

ففيه ثلاثة احتمالات:

1. يُحْتَمَل أنْ تكون هذه العبارة تعقيباً من الله تعالى على الإفساد الأول لبني إسرائيل، ليعلم محمد (ﷺ)، والمؤمنون أنَّ الإفساد الأول قد تَمَّ وانتهى، وهو الأقرب، والله أعلم.

2.ويُحْتَمَل أيضاً أنْ يكون المعنى أنّ إفساد بني إسرائيل الأول مقضيٌّ لا صارفَ له، ولا بُدّ منه.

3.ويُحْتَمَل أنْ يكون المُراد هو أنَّ السُنَّة الإلهية في المجتمعات الإنسانية تقتضي دائماً معاقبة المفسدين بنفس ما اقترفوا، فالإفساد والعلوُّ الكبير الذي اقترفه بنو إسرائيل يستحقون عليه هذه النهاية الحاسمة، والجزاءَ الوِفاق.

وفي هذا يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (كانت غارات هؤلاء الغِلاظ الأشداء وعداً، لأنه بمقتضى السُّنَّة الإلهية أنَّ مَنْ كان فاسداً من الجماعات والأمم يكون فريسة لمن هم أقوى قوةً، وأكثر عدداً، وأشدُّ بأساً، ووصف الله سبحانه وتعالى الوعد بأنه مفعول، أيْ واقع وقائم ومنجز، فلا تتخلف الإغارة عن الفساد، كما لا يتخلف السبب عن سببه، ولا المقدمة عن نتيجتها) [1].

ومع أنَّ كل هذه الاحتمالات ممكنة، لكن الحقائق التاريخية، والوقائع على الأرض، تؤكد أنَّ إفساد بني إسرائيل قد تمَّ وانتهى، وأنَّ قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ {الإسراء: 5}، يشير إلى هذا

1 أبو زهرة، محمد، (زهرة التفاسير)، الجزء الثامن، ص4336، دار الفكر العربي، القاهرة.

المعنى، فظاهر السياق أنّ المخاطب هنا هو محمد (ﷺ)، وهو أسلوب الْتفاتٍ من الكلام عن الغائب وهم بنو إسرائيل في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾{الإسراء: 4}،إلى التعقيب على هذا الحدث بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾{الإسراء: 5}، أيْ أنّ هذا الوعد قد تمَّ وانتهى يا محمد.

إنَّ الملاحظ أنّ الأفعال المستخدمة في الحديث عن الوعد الأول جاءت بصيغة الماضي، مثل (بعثنا)، و(جاسوا)، وأنّ الأفعال المستخدمة في الوعد الآخر(الثاني) جاءت بصيغة المضارع والمستقبل مثل: (ليسوءوا)، و(ليدخلوا)، و(ليتبروا)، مما يجعلنا نفهم حدوث الوعد الأول وانتهاءَه قبل البعثة النبوية.

الوقفةُ التَّاسعةُ

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾

انتهى الإفساد الأول لبني إسرائيل في الأرض المباركة فلسطين، وزال على يد البابليين بقيادة الملك (نبوخذ نصَّر) الذي قتل الآلاف من بني إسرائيل، وسبى أمثالهم، وحرَّق وخرَّب وجاس خلال ديار اليهود، فسقطت دولتهم سنة 586 ق. م .

وتمضي القرون بعد القرون من الشتات والعذاب، حيث تفرَّقوا في الأرض أُمَمًا وفرقًا بلُغاتٍ وثقافات مختلفة، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ {الأعراف: ١٦٨}، إلى أنْ جاءِ وعد إفسادهم الثاني والأخير في الأرض المباركة فلسطين، فرَدَّ الله لهم الكرَّة على مَنْ أزال إفسادهم الأول، وأمدّهم بالأموال والبنين، وجعلهم أكثر نفيراً :﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾:

(أيْ على هؤلاء الذي جاسوا خلال الديار، لا على أشخاصهم وإنَّما على ذريّتهم)[1].

ويمكننا الوقوف عند عدة إشارات في هذه الآية الكريمة، منها:

1. الحرف ﴿ ثُمَّ ﴾ : حرف عطف يفيد التراخي، وهذا يدل على التراخي في الزمن، أيْ أنّ ردَّ الكرَّة لبني إسرائيل سيكون بعد فترة متراخية، لا يعلم وقتها ومدَّتها إلا الله تعالى.
2. ﴿ رَدَدْنَا لَكُمُ ﴾ : أيْ سيكون الأمر لصالحكم، وسيرُدُّ الله لكم ما كنتم عليه من القوة والسيطرة على الأرض المقدسة فلسطين.
3. ﴿ ٱلْكَرَّةَ ﴾ : فيها تكرار ورجوع إلى نفس المكان، أي الرجوع إلى الأرض المقدسة فلسطين، (والكرَّة يُعبَّر بها عن الدولة كما يقول علماء اللغة، والتاريخ يشهد أنَّه لم تكن لليهود دولة في تاريخ المسلمين، والواقع يقول: إنَّ هذه الدولة إنما كانت في أيامنا هذه)[2].

---

1 عباس، فضل، (المنهاج، نفحات من الإسراء والمعراج)، ص122، مؤسسة الرسالة، 1987م.

2 عباس، فضل، (المنهاج، نفحات من الإسراء والمعراج)، ص122، مؤسسة الرسالة، 1987م

4.﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ : فيها عُلُوٌّ وغلبة وانتصار، والضمير في (عليهم) يعود على من أزال إفساد بني إسرائيل الأول، وهم البابليون.

فمَنْ هم البابليُّون؟

البابليُّون هم الكلدانيون الذين ورثوا دولة أشور في العراق، وهم قبائل عربية جاءت من الجزيرة العربية، وسيطرت على منطقة العراق، فهم عرب من أصول عربية، وهم أجداد أهل العراق والشام الحاليين.

يقول د. مروان عقراوي: (تاريخياً: الأشوريون والكلدانيون كانوا دولتين أو نظامين سياسيين لبلد واحد، ولغة واحدة، وحضارة واحدة، في حقبتين متتابعتين زمنياً، وللتوضيح: إن من يقول بأنّ قوميته أشورية أو كلدانية كمن يقول: إنّ قوميته أموية أو عباسية، حيث كما هو ثابت أن الدولة الأموية والدولة العباسية كانتا دولتين عربيتين في فترة الحضارة العربية الإسلامية، فليس للأموية أو العباسية لغة خاصة أو حضارة خاصة) [1].

ويقول أيضاً: (إن سكان شمال العراق في الفترة الأشورية وما سبقها ينحدرون من هجرات العرب العموريين الذين هاجروا من عرب

1 عقراوي، مروان، مقال بعنوان: من هم الأشوريون والكلدان؟ وهل هم قوميات، شبكة النصرة منبر العراق الحر، 2014/12/27م.

الجزيرة العربية شمالاً باتجاه العراق والشام، أما الكلدانيون فينطبق عليهم ما ينطبق على الأشوريين، فهم ينحدرون من هجرات من الجزيرة العربية التي استقرت في وسط العراق وجنوبه، وهجرتهم تزامنت مع هجرة الآراميين، أو أنهم من الآراميين، وقد استطاع زعيم عائلة(كالدو) أنْ يسيطر على النظام السياسي، وهو ما نطلق عليه في زماننا الدولة البابلية الجديدة).

(وينحدر من بيت(كالدو) الملك البابلي الشهير (نبوخذ نصَّر)، و(كلدان) جمع لكلمة(كالدو) أو (كلدي)، وهو اسم عائلة (نبوخذ نصَّر)، فالكلدان هم أقوام خرجت من شبه الجزيرة العربية، وقد اندفعوا من هذه المنطقة، ودخلوا العراق خلال الألف الأول قبل الميلاد، متخذين طريق ساحل البحر العربي، ثم الخليج العربي الذي أصبح مقترناً باسمهم فسمي بالبحر الكلدي)[1]

(ويرى الدكتور أحمد سوسة أن موطن الكلدان الأصلي هو شواطئ الخليج العربي جنوب العراق، وينقل الباحث جواد علي عن

1 عقراوي، مروان، مقال بعنوان: من هم الأشوريون والكلدان؟ وهل هم قوميات، شبكة النصرة منبر العراق الحر، 2014/12/27م.

(سترابو) أنّ مدينة (الجرها) التي تقع في القطيف في ساحل الخليج العربي في السعودية هي موطن الكلدان الأصلي) [1].

يقول الأستاذ بسَّام جرَّار: (وأُحِبُّ أنْ يعلم القارئ أنّ الأشوريين والكلدانيين هم قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية إلى منطقة الفُرات، ثم انساحت في البلاد، حتى سيطروا على ما يسمَى اليوم العراق وسوريا الطبيعية، وقد أسلم معظم هؤلاء، وأصبحوا من العرب المسلمين) [2].

وأخلُص مما سبق إلى نتيجتين:

أولاً: إنَّ الله تعالى قد ردَّ الكرَّة لبني إسرائيل في إفسادهم الثاني (وعد الآخرة) على من أزال ملكهم وإفسادهم الأول، فعادوا إلى نفس المكان الذي قُتلوا فيه، وسُبوا منه.

ثانياً: إنَّ المُراد بقوله تعالى:﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ هم العرب، والذين يُعرَفون اليوم بأسماء بلادهم ودولهم: (الفلسطينيون، الأردنيون، السوريون، اللبنانيون، العراقيون، المصريون، الخليجيون، المغرب العربي....) وقد كانوا في مراحل من

---

1 الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، من هم البابليون والأشوريون والكلدانيون؟

2 جرار، بسام، (زوال إسرائيل 2022، نبوءة أم صدف رقمية)، ص14، ط 3، 2002م.

التـــاريخ يُعـــرف بعضـــهم بالبـــابليين، أو الأشـــوريين، أو الكلدانيين، أو الآراميين.

ومما يقوِّي هذا القول، الحقائق الثلاث التالية:

1. إنَّنا لا نجد في التاريخ أنَّ الله تعالى قد ردَّ الكرَّة لبني إسرائيل في الأرض المباركة فلسطين على أحدٍ غير العرب، وقد رأينا هذه الكرَّة بأنفسنا في سنة 1948م، حيثُ أعلن اليهود دولتهم في فلسطين من جديد، وهي المرة (الثانية)، أو(الإفساد الثاني) لهم في فلسطين، بل إنَّنا قد رأينا مظاهر هذه الكرَّة لبني إسرائيل بوضوح على العرب تحديداً عندما شارك في حرب فلسطين 1948م سبعة جيوش عربية، لكنهم انهزموا أمام كرَّة هؤلاء المفسدين اليهود، وهاجر مئات آلاف العرب من أهل الأرض المباركة فلسطين إلى مناطقَ مختلفةٍ من العالم العربي وغيره.
2. منذ نزول سورة الإسراء على قلب محمد (ﷺ)، فإننا لم نَرَ أنَّ الكَرَّة قد رُدَّت لبني إسرائيل على العرب في فلسطين إلا في سنة 1948م.
3. إنْ لمْ يكن الضمير في قوله تعالى: ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ يعود على العرب، فماذا نسمّي هذا الإفساد الذي نراه الآن لليهود في فلسطين؟!

- وإنْ لم تكن حروب اليهود على العرب هي الكرَّةَ المردودةَ لهم عليهم، فماذا يمكن أنْ تكون؟!
- وإنْ لم تكن هذه هي المرَّةَ الثانيةَ للإفساد اليهودي في فلسطين بعد سيطرتهم عليها واحتلالها، فماذا تكون؟!

لكنَّنا نجدُ اضطرابًا واضحًا عند بعض المفسرين في تحديد الإفساد الثاني لبني إسرائيل في الأرض المباركة، وخاصَّة عند المفسرين القدامى الذين يقولون بوقوع الإفسادين الأول والثاني، وهم في نظري معذورون، فهُم لم يَرَوْا هذا الإفساد اليهودي الذي نراه الآن، وفي نفس الوقت هم لم يكونوا ليتصوروا أنْ يكون لليهود في يوم علوٌّ في الأرض المباركة فلسطين، خاصَّة وأنَّ اليهود كانوا يعيشون تحت حكم المسلمين، وكانوا أهل ذمة يُعْطُون الجزية للدولة الإسلامية عن يدٍ وهم صاغرون، وكانت فلسطين يومئذ جزءًا من الدولة الإسلامية القويَّة.

ومن الأمثلة على هذا الاضطراب:

1. رأى بعض المفسرين أنَّ الإفساد الثاني لبني إسرائيل قد وقع في زمن النبي (ﷺ) في المدينة المنورة، وقد ناقشت هذا القول في الوقفة السابعة، حيث لم تكن المدينة في يومٍ ساحةً لإفساد بني إسرائيل وعُلُوِّهم، وأنّ زوال الإفسادين كان فيه دخولٌ لبيت المقدس

(المسجد): ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾{الإسراء: 7}، وهذا ما لم يحدث في المدينة المنورة، لا قبل النبي (ﷺ)، ولا في حياته، ولا بعده.

2. ومن المفسرين من اعتبر أنّ الإفساد الثاني لبني إسرائيل قد وقع في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ناقشت هذا القول في الوقفة السابعة أيضًا، حيث إنّ عمر رضي الله عنه دخل بيت المقدس سِلْماً، ولم يكن منه جوسٌ خلال الديار، ولم يقتل أحداً، ولم يسْبِ أحداً، بل تسلَّم مفاتيح القدس بطريقة سلمية من حاكمها (صفرونيونس) النصراني، وأعطى أهل إيلياء (بيت المقدس) ما يُعرف بالعُهدة العُمَريَّة.

ولا يمكن اعتبار دخول عمر رضي الله عنه لبيت المقدس إزالةً للإفساد اليهود الثاني، فلم يكن في زمن عمر رضي الله عنه كيانٌ، أو وجودٌ سياسي، أو إفسادٌ وعلوٌّ كبير لبني إسرائيل في فلسطين.

3. اعتبر بعض المفسرين أنَّ الإفساد الأول لبني إسرائيل كان بقتلهم زكريا عليه السلام، فأرسل الله عليهم جالوت، وهذا أمرٌ غير صحيح، ويتعارض مع الحقائق التاريخية المعروفة، فالذي قتل جالوت هو داوود عليه السلام في زمن طالوت ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ

جَالُوتَ ﴾ {البقرة: ٢٥١}، والمعروف بداهةً أن زكريا عليه السلام من نسل داوود عليه السلام، وجاء بعده بألف سنة تقريبًا .

يقول ابن عجيبة الحسني: (وقول الجلال السيوطي: وقد أفسدوا في الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت وجنوده، لا يصحُّ، لأنه يقتضي أنّ داوود تأخّر عن زكريا، وهو باطل) [1].

إنّ زكريا عليه السلام هو والد يحيى عليه السلام، ويحيى وعيسى عليهما السلام هما أبناء الخالة، وعيسى بن مريم هو آخر أنبياء بني إسرائيل، فيكون زكريا عليه السلام من آخر أنبياء بني إسرائيل، فلا يُعقَل أنْ يكون أَسْبَقَ من داوود عليه السلام، وداوود أقرب إلى موسى عليه السلام، بدليل قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ {البقرة: 246}، وفي ذلك الوقت كان داوود شابًا مقاتلاً تحت راية طالوت، وآتاه الله الملك والنبوة بعد المعركة، فهو قريب من زمن موسى عليه السلام .

1 ابن عجيبة الحسني، أبو العباس أحمد، (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) المجلد الرابع، ص80، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

4.وبعض المفسرين يقولون: إنَّ بني إسرائيل أفسدوا في أول مرة، فبعث الله عليهم (تيتوس) الروماني سنة 70م، ثمَّ أفسدوا في الثانية، فبعث الله عليهم (هادريان) الروماني سنة 135م، وهذا يعني أنّ الله قد بعث على بني إسرائيل الرومان مرَّتين، لكنَّنا لا نجد بين هاتين المرّتين أنّ الله قد ردَّ الكَرَّة لليهود على الرومان كما تبيّن لنا الآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ {الإسراء:6 }، ممَّا يجعل هذا القول واهيًا لا رصيد له تاريخيًا أو قرآنيًا، إنّما كان ذلك في إطار سُنَّة الله الماضية في المفسدين أنْ يعاقبهم لعلهم يرجعون، ولو بأنْ يولي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون.

ومهما يكنْ من أمر، فإنَّ ما نراه اليوم بأعيننا من إفسادٍ وعُلُوٍّ لبني إسرائيل في فلسطين، يجعلنا نُرجِّح بقوة أنّه هو وعد الآخرة الذي حدثتنا عنه سورة الإسراء، والله أعلى وأعلم

الوقفةُ العاشرةُ

﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾

مع ردِّ الله تعالى الكرَّة لبني إسرائيل على العرب الذين أزالوا إفسادهم الأول سنة 586 ق. م، فإنَّه سبحانه وتعالى قد أمدَّهم لتحقيق ذلك بالأموال والبنين، وجعلهم أكثر نفيرًا، فتمكنّوا من بناء دولتهم الثانية، والتي يكون لهم فيها إفسادٌ وعلوٌّ كبيران يكونان سبباً في سقوطها وتتبيرها في وعد الآخرة.

والمُراد بالأموال: كلُّ ما يُطلق عليه هذه الكلمة، مثل:

1. المال نقداً.
2. المشاريع الاقتصادية.
3. الإمدادات العسكرية.
4. المصانع والمعدات والآلات.
5. المواد الخام من المعادن والمزروعات
6. وكل ما يعتمد عليه في بناء الدولة.

وقد بدأ الإمداد بالأموال قبل إعلان اليهود دولتهم على أرض فلسطين سنة 1948م، واستمرَّ بوتيرة متفاوتة من قِبَلِ الغرب والشرق حتى يومنا هذا، بمقدار ما يحقِّقون من ضربات استباقية، تُطمئِن العالَمَ

الصَّليبيَّ الكافر، والعربيَّ المنافق، أنَّ نهضة الأمة الإسلامية من جديد لا زالت متعثِّرة .

والمُراد بالبنين: الأبناء الذكور اليافعون الذين يُعتمد عليهم في بناء الجيوش التي تمارس الإفساد العسكري في الأرض المباركة (فلسطين)، فترتكب المجازر، والعدوان، والقتل، والسجن، والترحيل ضد الآمنين.

وقد جمعْتُ فيما يلي بعض الأمثلة على الإمداد بالأموال والبنين لليهود في فلسطين قبل إعلان دولتهم المفسدة في فلسطين 1948م وبعده:

أولاً: الإمداد بالأموال:

قامت في العالم الكثير من المنظمات والمؤسسات التي تعمل على دعم اليهود مالياً لبناء وطن قومي لهم في فلسطين، يعلنون فيه دولتهم ويمارسون فيه إفسادهم الثاني والأخير، ومن هذه المنظمات والمؤسسات:

1.منظمة الصندوق القومي اليهودي:

تأسست عام 1901م، وقد أنشئت في الأساس كصندوق يهودي لشراء الأراضي في فلسطين، وبعد عام 1948م، أصبح هدفها

هو شراء الأراضي والغابات والحقول في أي منطقة تهم حكومة (إسرائيل)، أو استئجارها، أو مبادلتها،، ويستخدم الصندوق شعار **(ازرعْ شجرةً في أرض الميعاد)** وتكون هذه الشجرة مقابلاً رمزياً للتبرعات [1].

2. اللجنة اليهودية الأمريكية للتوزيع المشترك:

تأسست عام 1914م في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى من أجل إعادة منكوبي الحرب من اليهود، ثم انتقلت إلى شعار **(مساعدة المحتاجين اليهود)**، ولهذا فهي تقوم بتنظيم برامج الإغاثة والعون وتمويلها، وإعادة التأهيل لجميع اليهود المعرَّضين للخطر، أو الحاجة في أنحاء العالم، وتمدّ الحكومة الأمريكية هذه المنظمة أيضاً بالدعم المستمر [2].

---

1 مصطفى، عبد العزيز، (قبل الكارثة نذير ونفير)، ص233، مؤسسة صلاح السليم، الرياض.

2 المرجع نفسه.

3.صندوق وقفية (إسرائيل):

تأسس عام 1922م، وقد أُنشئ أولاً كمؤسسة خيرية لتمويل الجماعات اليهودية في فلسطين، وبعد إنشاء الدولة اليهودية تحوَّل إلى تمويل المؤسسات الإسرائيلية المدنية والتربوية [1].

4.منظمة النِّداء اليهوديّ المتَّحد:

تأسست عام 1925م، وكان اسمها قبل عام 1948م: **(نداء فلسطين المتَحد)**، وتهدف هذه المنظمة من خلال الأموال التي تتسلمها إلى المساعدة في إعادة استيطان المهاجرين في (إسرائيل)، وتتلقى هذه المنظمة دعماً مباشرًا من حكومة الولايات المتّحدة الأمريكية [2].

5.الشركة الإسرائيلية الأمريكية:

تأسست عام 1942م، وهي شركة استثمارية تقوم بالعمل على تمويل المشاريع الصناعية، والتجارية، والزراعية في (إسرائيل)، فهي تسعى للاستثمار المباشر في (إسرائيل)[3].

---

1 مصطفى، عبد العزيز، (قبل الكارثة نذير ونفير)، ص233، مؤسسة صلاح السليم، الرياض.

2 المرجع نفسه.

3 عبد العزيز، مصطفى، (قبل الكارثة نذير ونفير)، ص234، مؤسسة صلاح السليم، الرياض.

وتوجد إلى جانب هذه المنظمات السابقة العشرات من الجماعات والمنظمات التي أنشئت بغرض الدعاية والجباية لمؤسسات وجهات داخل (إسرائيل) [1].

لكنَّ الدعم الأمريكي لليهود بالمال أكبر من كل هذه المنظمات والجمعيات، فقد كتب هشام القروي في موقع (الحوار المتمدِّن) العدد 1171 بتاريخ 2005/4/18م ما يلي: (كشفت صحيفة كريتسان سانيس منيتور الأمريكية بأنّ إسرائيل كلَّفت الولايات المتحدة الأمريكية مالياً منذ العام 1973م 1,6 ترليون دولار) .

ويمكنني القول:

إنّ هذا الدعم الدولي لليهود يأتي في سياق قوله تعالى: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ﴾ {الإسراء: ٦} وأنّ هذا الإمداد بالأموال مرتبط بالإفساد الثاني لليهود في فلسطين، فلم يحدث لهم هذا الإمداد منذ زوال إفسادهم الأول، مما يجعلني على يقين أنّ الكيان الإسرائيلي القائم الآن في فلسطين هو الإفساد الثاني (وعد الآخرة) لبني إسرائيل في الأرض.

---

1 عبد العزيز، مصطفى، (قبل الكارثة نذير ونفير)، ص234، مؤسسة صلاح السليم، الرياض.

ثانياً: الإمداد بالبنين:

كما هو معلوم فإنّ المقصود بالبنين هم الأبناء الذكور اليافعون، وليس مجرد النسل أو الذرية، فالذكور اليافعون هم الذين يقدرون على القتال والمشاركة في الحروب، وحمل الأعباء الثِّقال، لذا نجد هذا واضحاً في الهجرة اليهودية إلى فلسطين عام 1948م وبعدها.

وبالرغم من أنّ بريطانيا قد سهّلت هجرة اليهود إلى فلسطين من كلِّ أنحاء العالم، لكننا نجد أنّ اليهود كانوا يهتمون بنوعٍ خاصٍّ من الهجرة، وهي هجرة الشباب وخاصة الذكور، فقد بدأت الحركة الصهيونية في هذه المرحلة بتنظيم هجرة من نوع خاص، عُرفت باسم (هجرة الشباب)، وذلك بجمع الأطفال اليهود من أوروبا، ونقلهم إلى فلسطين، وأنشئت في الوكالة اليهودية دائرة خاصة بالشباب، وتمكنت الحركة الصهيونية من نقل 30 ألف طفل يهودي أغلبهم ذكور من أوروبا إلى فلسطين من عام 1933م إلى عام 1948م، ونقلت 40 ألف يهودي من روسيا ورومانيا، وكانوا من الشباب المُفْلِسين المغامرين الذين جنَّدتهم الصهيونية والأجهزة الاستعمارية للهجرة إلى فلسطين[1].

1 علي، غادة، (الهجرة اليهودية إلى فلسطين)، شبكة فلسطين للحوار، 2011/1/18م.

ويشير د. يوسف كامل إبراهيم إلى أنّ اهتمام اليهود بفئة الشباب كان واضحاً، فيقول: (وفي الفترة بين 1942-1946م ارتفعت بين السكان نسبة البالغين من العمر سن(15-45) سنة من الذكور والإناث، فوصلت عند المواطنين العرب إلى 56.7% من مجموع العرب، وعند اليهود إلى حوالي 60% من مجموع اليهود المهاجرين إلى فلسطين [1].

وقد لاحظت أنّ إمداد بني إسرائيل بالبنين مرتبط بحدوث الإفساد الثاني لهم، فلم يحدث هذا في تاريخ اليهود مطلقاً منذ زوال إفسادهم الأول، مما يجعلنا واثقين من أنَّ الوجود الإسرائيلي القائم الآن في فلسطين، والمسمَّى (إسرائيل)، هو الإفساد الثاني لليهود، والمعروف بوعد الآخرة.

---

1 إبراهيم، يوسف إبراهيم، (التحول الديمغرافي القسري في فلسطين)، وكالة وفا للأنباء والمعلومات الفلسطينية، 2011م

الوقفةُ الحاديةَ عشرةَ

﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِـيرًا﴾

لا يزال الخطاب من الله تعالى موجهاً إلى بني إسرائيل بأنه سيرد لهم الكرَّة على العرب الذين أزالوا ملكهم ودولتهم في الإفساد الأول، وسيمدُّهم بالأموال والبنين، وسيجعلهم أكثر نفيراً.

﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِـيرًا﴾ {الإسراء: ٦}: أيْ وجعلنا لكم الكثرة في جيشكم وجنودكم الذين يخوضون المعارك، ويَنفِرُون في الحرب.

والله تعالى لم يقل (وجعلناكم أكثر عدداً)، فالعرب في العدد أكثر، ولكن سبحانه وتعالى قال: ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِـيرًا﴾ {الإسراء: ٦}، أي أكثر إعداداً وضجيجاً في الحروب والمعارك، كما حدث في حروبهم مع العرب منذ 1948م.

وقد لاحظنا هذا الأمر بأنفسنا، حيثُ كان المقاتلون اليهود في حروبهم دائماً أكثر من المقاتلين العرب، رغم كثرة أعداد العرب، (ففي حرب فلسطين سنة 1948م كان عدد الجيوش العربية السبعة 21500

جندي، أي ما يعادل ثلث عدد الجيش الإسرائيلي البالغ 68100 جندي) [1].

ومن دلالات قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾:

1.﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: أيْ أكثر أنصاراً ومؤيدين، كما رأينا عبر عقود كيف أن مجلس الأمن الدولي، ومنظمة الأمم المتحدة، يكيلون بمكيالين لصالح اليهود، مناصرين ومؤيدين لهم على العرب الفلسطينيين أصحاب الحق المظلومين.

وفي هذا يقول الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه: (أكثر نفيراً): وجعلناكم أكثر نُصَّاراً، أيْ جعلنا نصراءكم أكثر [2].

2.﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: أيْ أكثر إعلاناً للحرب بما لديكم من أدوات الحرب المختلفة، كالجنود، والأموال، والأسلحة المتطورة، والإعلام الدولي، والمساندة السياسية.

---

1 السنوار، زكريا إبراهيم، (ميزان القوى في حرب عام 1948م)، ورقة عمل إلى اليوم الدراسي بعنوان: النكبة: مأساة أرض وعودة شعب، 2010م.

2 الزجاج، أبو إسحق إبراهيم، (معاني القرآن وإعرابه)، المجلد الثالث، ص186، دار الحديث- القاهرة،2003م.

ومنذ قيام الإفساد الثاني لليهود في سنة 1948م، رأينا العديد من الحروب التي خاضتها (إسرائيل) ضد العرب، وفي كلِّ المرّات كانت (إسرائيل) هي المُعتدية.

ومن أشهر هذه الحروب:

1. حرب فلسطين 1948م (النكبة)، حيثُ سيطرت (إسرائيل) على 78% من أرض فلسطين، وهجَّرت مئات الآلاف من الفلسطينيين من أرضهم.
2. العدوان الثلاثي على مصر وغزة 1956م، حيثُ احتلت (إسرائيل) شبه جزيرة سيناء، وقطاع غزة لمدة ستة أشهر، وارتكبت مجازر كثيرة في تلك الفترة القصيرة.
3. حرب حزيران 1967م، حيثُ شنَّت (إسرائيل) حرباً على مصر وسوريا والأردن، وكان من نتائج هذه الحرب:

أ. احتلال (إسرائيل) لشبه جزيرة سيناء المصرية، وقطاع غزة الذي كان تحت الإدارة المصرية، في ستة أيام، أو قُلْ: في ست ساعات بتعبير أدقّ.

ب. احتلال هضبة الجولان السورية، وهي منطقة عسكرية استراتيجية مُطلَّة على فلسطين من الشمال الشرقي.

ج. احتلال الضفة الغربية التي كانت تحت الإدارة الأردنية، بالإضافة إلى منطقة وادي عربة، وهي منطقة أكبر من قطاع غزة.

4. حرب أكتوبر 1973م، والتي تَمَّ فيها انسحاب (إسرائيل) من قناة السويس المصرية، فكأنها حرب تحريك لا تحرير، هدفها إعادة الملاحة في قناة السويس، فضلًا عن التهيئة لاتفاقية كامب ديفيد التي أَخْرجَتْ مصر من جبهة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي.
5. اجتياح جنوب لبنان 1978م، بهدف ضرب المقاومة الفلسطينية.
6. اجتياح لبنان، والوصول إلى بيروت عام 1982م، وإخراج المقاومة الفلسطينية إلى تونس وبلدان عربية، وارتكاب مجازر صبرا وشاتيلا.
7. حرب تمُّوز ضد المقاومة اللبنانية عام 2006م، وقد امتدَّت (33) يومًا، وتوقفَّت بعد مجزرة في الدبابات الإسرائيلية.
8. حرب الفرقان ضد غزة في 27 ديسمبر عام 2008م، واستمرت حتى 18يناير 2009م.
9. حرب حجارة السِّجِّيل ضد غزة عام 2012م، وكانت سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، ضَربتْ فيها المقاومة الفلسطينية قلب الكيان الإسرائيلي في وسط تل الربيع (تل أبيب).

10. حرب العصف المأكول ضد غزة عام 2014م، والتي كانت بمباركة الأنظمة العربية وخذلانها، وامتدَّت إلى 51 يومًا، وتمكنَّت المقاومة الفلسطينية فيها من خطف عدَدٍ من جنود الاحتلال، وضَربتْ حيفا بالصواريخ.

مع ما تخلّل الانتفاضة الأولى والثانية من العدوان على الشعب الفلسطيني، وكذلك المجازر المختلفة التي ارتكبها اليهود – ولا يزالون– ضدَّ الفلسطينيين داخل فلسطين وخارجها.

3. ﴿أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾**:** أيْ أكثر نفيراً من المرة الأولى في الإفساد الأول، فأنتم في المرة الأولى لم تكونوا تمتلكون من النفير وأدواته ما تمتلكون في إفسادكم الثاني.

4. ﴿أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾**:** أيْ أكثر نفيراً من العرب، فالعرب في الغالب لا ينفرون ضدَّكم، بل يسالمونكم، ويطبِّعون معكم، ويعترفون بدولتكم، ويصمتون عن إفسادكم، ويحاربون من يقاومكم، ويلاحقون من يرفع شعار المقاومة ضدكم.

5. ﴿أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾**:** أيْ أكثر استنفاراً للدول الكبرى، لتقف معكم، وتساندكم بالمال والسلاح، وتسهّل هجرة اليهود إلى فلسطين، كما

تفعل أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وروسيا، وألمانيا، وكثير من دول أوروبا.

6. ﴿أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴾: إشارة واضحة إلى وقوع الإفساد الثاني لليهود في فلسطين حقيقة وواقعاً، فما نراه الآن من قوة النفير اليهودي في فلسطين هو ما تؤكده هذ الآية: ﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴾ {الإسراء: 6}.

الوقفةُ الثانيةَ عشرةَ

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾

هذه قاعدة عامة وسنة ماضية، وهي دعوة من الله تعالى لبني إسرائيل إلى الإحسان، والابتعاد عما يغضب الله، وعما يعرضهم للهلاك، فالإحسان لكم إن أحسنتم، والإساءة لكم إن أسأتم، وأنتم من يجنون الثمار في الحالتين.

وهذه القاعدة الربانية يقضي بها الله تعالى إلى بني إسرائيل في نفس الوقت الذي يبلغهم فيه بأنه سيكون منهم إفسادان في الأرض المباركة فلسطين.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾: أيْ إنْ فعلتم الحسنات، والْتَزَمْتم بشرع الله تعالى، وأوامره وراقبتم ربكم في أموالكم وأفعالكم.

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ : أيْ إنْ فعلتم السيئات، وتنكَّبتم طريق الهداية والصلاح، وعصيتم ربَّكم، وتعدَّيتم حدوده.

وفي الآية دعوة من الله تعالى لبني إسرائيل بالتوبة والإنابة والرجوع إلى ربهم بعد إفسادهم الأول وزوال ملكهم، وقتل الآلاف منهم، وسبْي أمثالهم، فالله تعالى يعطيهم الفرصة قبل أنْ يتورَّطوا في الإفساد

الثاني، فيحق عليهم العذاب والعقاب، ويحدث لهم مثل ما حدث في ﴿وَعْدُ أُولَـٰهُمَا﴾ {الإسراء:5} من القتل والتعذيب.

إنّها دعوة ترسم طريقاً واضحاً وسُنَّة إلهيّة في البشر: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾{الإسراء:7}، وما أحوجَ الناسَ إليها! وما أحوج بني إسرائيل إليها!

- **فهل أخذ اليهود بدعوة ربهم ووصيته؟!**
- **هل استجابوا لله وهو يدعوهم للنّجاة؟ فيصنعوا مستقبلهم بأنفسهم؟!**

إنَّ واقع الحال يدلّ على أنّهم لم يتَّعظوا بوصية الله لهم، ولم يُحسنوا، بل تورَّطوا بالإفساد مرَّتين كما أوحى الله إليهم بعلمه.

ويمكن أنْ يكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ {الإسراء: ٧}، موجَّهًا للمسلمين تعقيباً على الحكاية عن بني إسرائيل، ووصية للمسلمين بأنْ لا يكونوا مثل هؤلاء الذين أفسدوا في المرة الأولى، فبعث الله عليهم من يزيل ملكهم، ويجوس خلال ديارهم، فخذوا العبرة يا أهل الإسلام ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي

ٱلۡأَبۡصَـٰرِ ﴾ {الحشر: ٢}، فما كان الحديث عن إفساد بني إسرائيل في القرآن الكريم إلا لتأخذوا العبرة، وتُحسنوا.

لكنّ الوجْه الأوَّل أكثرُ مناسبةً للسياق، لأنّه استمرارٌ في مخاطبة بني إسرائيل، فالله تعالى بعد أنْ أعلم بني إسرائيل بأنَّه سيرُدُّ لهم الكرَّة على مَنْ أزال إفسادهم الأوَّل، يقول لهم: ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ﴾ {الإسراء: ٧}.

الوقفةُ الثالثةَ عشرةَ

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

هذا هو الإفساد الثاني لبني إسرائيل، الثاني والأخير، ولم يقل الله تعالى: (فإذا جاء وعد الثانية) أو: (فإذا جاء وعد ثانيتهما)، بل قال: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ {الإسراء: ٧}، أيْ الثانية والأخيرة.

إنهما إفسادان، لا ثالثَ لهما، ﴿ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ ﴾ {الإسراء: ٤}، وهذه هي المرة الثانية والأخيرة لكم يا بني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين).

وقد سُبِق هذا الوعد بزوالكم أن ردَّ الله لكم الكرَّة على من أزال إفسادكم الأول، وأمدّكم بالأموال والبنين وجعلكم أكثر نفيراً.

وها أنتم تجنون ثمرة هذا الإفساد والعلو الكبير، فيبعث الله عليكم عباداً له، كما بعث في المرة الأولى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ﴾ {الإسراء:5 } .

لقد جاء وعد الآخرة، إنّه الوعد بزوالكم، وزوال ملككم، ونهاية إفسادكم وعلوِّكم الكبير، وتشريدكم من جديد، وتتبير كلِّ مظاهر إفسادكم في بيت المقدس وفلسطين.

سيبعث الله عليكم ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ {الإسراء:5 }، بنفس الصفات والمواصفات التي كان عليها العباد الذين أزالوا ملككم وإفسادكم الأول: ﴿ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾ {الإسراء:5 }، وسيزيلون كيانكم الفاسد، ولن ينفعكم استكباركم وعلوُّكم، ولن تنفعكم أموالكم ولا بنوكم، ولا كثرة نفيركم.

إنّهم موصوفون بكونهم: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾ {الإسراء: 5}، سيُبعثون عليكم من جديد بمهمّاتٍ وتكاليفَ محددةٍ لهم من الله تعالى بدقة، **وهي ثلاثة كما يلي:**

أولاً: ﴿ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾. {الإسراء: ٧}.

ثانياً: ﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾. {الإسراء: ٧}.

ثالثًا: ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ {الإسراء: ٧}.

وسيكون زوالكم في المرّتين متماثلاً ومتشابهاً، فإساءة الوجه هي ذات الإساءة، والجوس خلال الديار هو الجوس، ودخول المسجد

(بيت المقدس) هو ذات الدخول، والقتل هو القتل، والتتبير هو التتبير، والإخراج هو الإخراج، والرحيل هو الرحيل.

ولا أشكُّ في أنَّ الإفساد الثاني والأخير لبني إسرائيل في الأرض المقدسة (فلسطين) هو هذا الإفساد الذي نراه بأعيننا الآن، وهو المتمثِّل في هذا الكيان الجاثم فوق الأرض الإسلامية العربية، والمُسمَّى(إسرائيل)، وإنَّ المرجَّح أنَّ معظم اليهود الموجودين على أرض فلسطين ليسوا من بني إسرائيل نسبًا، إنما من الخَزَر، ولكنْ لحكمةٍ يريدها الله تعالى قدَّر أنْ يُلَقِّبُوا كيانهم بإسرائيل، ليكون هؤلاء الشراذم من بني (إسرائيل) الدولة، أيْ أنَّ الانتساب إلى إسرائيل سياسي، وليس عَصَبةً، وهو الذي تمَّ الإعلان عنه في 1948/5/15م.

وإنَّ ممَّا يجعلني متيقِّناً من أنَّ الكيان الإسرائيلي القائم حالياً على أرض فلسطين هو الإفساد الثاني والأخير لبني إسرائيل ما يلي:

1. هذا الإفساد الذي نراه سبقه ردٌّ للكرَّة لبني إسرائيل على العرب، وهو ما صرَّحت به هذه الآية ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ {الإسراء: ٦}
2. الإمداد الواضح لبني إسرائيل بالأموال والبنين، كما وضَّحتُ سابقاً، ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ {الإسراء: ٦}

3. اليهود هم الأكثر نفيراً من العرب، والأكثر نفيراً واستنفاراً للعالم كلِّه لشنِّ الحروب منذ 1948م، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ ﴾ {المائدة: ٦٤}.

4. إساءة الوجوه التي يتعرض لها اليهود على يد أهل فلسطين، والمقاومة الفلسطينية يومًا بعد يوم، فقد انكشفت سوءاتهم أمام الكثير من شعوب العالم، وعُرف عنهم الوحشية، وظهرت عوراتهم، ولم يعودوا هم الجيشَ الذي لا يُقهر، كما كانوا يزعمون دائماً.

5. إنَّ مجيء اليهود لفيفاً إلى فلسطين من كل مكانٍ يؤكد أنَّ هذا الإفساد الذي نراه هو الإفساد الثاني والأخير لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين): ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا ﴾ {الإسراء: ١٠٤}.

وبقيَ لي أنْ أعرض بعد هذه البيِّنات بقِيَّةَ الوعْد الإلهيّ لهذا الإفساد:

1.دخول بيت المقدس، والجوس خلال الديار، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ {الإسراء: ٧}

2.تتبير الإفساد الإسرائيلي في فلسطين، وإهلاكه بإذن الله تعالى ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ {الإسراء: ٧}

3.خروج اليهود من فلسطين والرحيل عنها بإذن الله تعالى ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ {الإسراء: ٨}.

ومن العلماء الذين أستأنس برأيهم، ويقولون بأنَّ هذا الإفساد الحالي هو الإفساد الثاني لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين):

أ- الشيخ محمد متولي الشعراوي [1]. (راجع تفسير الشعراوي).

ب- الأستاذ بسام جرار [2]. (راجع كتاب: زوال إسرائيل 2022م .. نبوءة أم صدف رقمية).

ت- الدكتور أحمد نوفل [3] (راجع موقع إسلاميات، تفسير سورة الإسراء، الآية 7).

ث- الشيخ سعيد حوى [4] (راجع كتاب الأساس في التفسير).

ج- الشيخ عبد الله بن محمد الطوالة[5].

ح- الدكتور يونس الأسطل، حيث يقول:

---

1 الشعراوي، محمد متولي، (خواطري حول القرآن الكريم)، ص8368 ، دار الأخبار اليوم، القاهرة.

2 جرار، بسام، (زوال إسرائيل2022، نبوءة أم صدف رقمية)، ص21، ط 3، 2002م.

3 نوفل، أحمد، (تفسير سورة الإسراء)، موقع إسلاميات،2014/8/15م.

4 حوى، سعيد، (الأساس في التفسير)، المجلد السادس، ص3044، دار السلام، القاهرة.

5 الطوالة ، عبد الله محمد، (تأملات في سورة الإسراء)، 2017/12/14م.

(وإنَّ من المرجَّح كذلك أنّنا اليوم على موعد مع تتبير العلوِّ الكبير لبني إسرائيل في هذا الإفساد الثاني، حيثُ إنَّ من أماراته أنْ يأتي الله بهم لفيفًا، ولا شكّ أنَّ الهجرة اليهودية إلى فلسطين ما كانت يومًا كما كانت في العقود الأخيرة ...) [1].

ويقول أيضًا: (لكنَّ الذي أودُّ الإشارة إليه أنّهم منذ تحطيم العلوّ الأول لم يقُمْ لهم كيان سياسي إلا في زماننا هذا ...) [2].

إنَّ هذا الكيان اليهودي القائم في فلسطين الآن، لا يمكن أنْ يكون خارجاً عن السياق التاريخي الذي تتحدث عنه سورة الإسراء، ولا يمكن أنْ يكون خارج قوله تعالى : ﴿ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ {الإسراء:4}، فهو إفساد بني إسرائيل الأخير بلا شكٍّ، بعيداً عن التأويلات المخالفة للواقع والتاريخ، فإنَّ خير التأويل ما كان حادثاً واقعاً تشاهده العين، وتدركه الحواس.

---

1 الأسطل، يونس، (فلسطين من منظور قرآني)، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر: فلسطين لن يطول ليل الغاصبين، في ذكرى النكبة الحادية والستين، 25جمادى الأولى 1430هـ، الموافق 2009/5/21م.

2 الأسطل، يونس، (فلسطين من منظور قرآني)، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر: فلسطين لن يطول ليل الغاصبين، في ذكرى النكبة الحادية والستين، 25جمادى الأولى 1430هـ، الموافق 2009/5/21م.

الوقفةُ الرابعةَ عشرةَ

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾

التعبير ﴿ جِئۡنَا بِكُمۡ ﴾ يُوحي بأمرين:

الأول: إنكم يا بني إسرائيل قبل وعد الآخرة لم تكونوا في الأرض المباركة فلسطين، بل كنتم في الشتات أمماً مقطعين في الأرض بعد زوال إفسادكم الأول، وهو ما حدث فعلاً، فقد بدأ تجمُّع اليهود في فلسطين منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن.

الثاني: ﴿ جِئۡنَا بِكُمۡ ﴾: الفاعل في المجيء هو الله تعالى، فأنتم لم تجيئوا، بل جِيء بكم، وإنَّ هذا المجيء بكم إلى الأرض المباركة هو من مشيئة الله تعالى، وحكمته، وعلمه، فما كان لكم أنْ تدخلوا فلسطين لولا مشيئة الله تعالى لتحقيق وعد الآخرة ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ﴾ الروم: ٤).

وقوله تعالى: ﴿ لَفِيفٗا ﴾: له دلالاتٌ مختلفة، منها:

1. إنّ بني إسرائيل (اليهود) كانوا قبل وعد الآخرة متفرّقين في أماكنَ مختلفةٍ، لا أرضَ تجمعهم، ولا كيانَ يضمُّهم، كما قال عزّ شأنه:

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمًا﴾ {الأعراف: ١٦٨}، فجاء الله بهم ﴿لَفِيفًا﴾، أيْ تجميعاً بعد تباعد.

وقد جاء في المعجم الوسيط: (لفَّ الشجرُ لفًّا) أيِ الْتَفَّ واجْتَمَع، والْتَفَّ الشيءُ، أيْ تَجَمَّع وتكاثف، ونقول: التفَّ الشجر بالمكان، أيْ كثُر وتضايق، والْتفَّ عليه القوم: اجتمعوا عليه) [1].

إنَّ كلّ هذه التراكيب، والاستخدامات اللغوية، توحي بمعنى التجمُّع والتجميع لبني إسرائيل من أماكن شتى، وهذا فعلاً ما نراه في الواقع، فقد تجمَّع اليهود في فلسطين قبل سنة 1948م وبعدها من كلِّ مكان، من الشرق، ومن الغرب، فنجد أنَّ يهوداً قَدِمُوا من الاتحاد السوفيتي، ومن أفريقيا، ومن البلاد العربية، ومن الأمريكيتين، ومن كلِّ جهات العالم.

2.كلمة **﴿لَفِيفًا﴾**: فيها معنى الكثرة والخَلْط: جاء في المعجم الوسيط (لفَّ الرجلُ في الأكْل: إذا أكثر وخلَّط) [2].

1 مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ج2، ص835، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، 1990م.

2 مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ج2، ص835، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، 1990م.

وقد رأينا معنى الكثرة فعلاً خلال الهجرات اليهودية المتكررة إلى فلسطين، حتى وصل عددهم في سنة 1948م إلى أربعة ملايين نسمة.

ومع هذه الكثرة، فقد كانوا مخلَّطين من أصولٍ مختلفة، وقد أحصى بعض العلماء قوميّاتِهم ولغاتِهم، فوجدوهم ينحدرون من سبعينَ قوميةً، ويتكلمون بتسعينَ لغةً [1].

3. كلمة﴿ **لَفِيفًا** ﴾: توحي بالبُطْء والتثاقُل: وهو ما أشار إليه المعجم الوسيط: (لفً الرجل) إذا بطُؤ وتثاقل [2].

وهذا ما حدث فعلاً في الهجرات اليهودية إلى فلسطين، فهي لم تكن مرةً واحدةً، أو دفعةً واحدة، بل كانت هذه الهجرات على دفعاتٍ كثيرة، وسنواتٍ عديدة، ولا تزال هذه الهجرات مستمرة، حتى يقضي الله قريبًا أمرًا كان مفعولًا.

1 جرار، بسام، (زوال إسرائيل2022، نبوءة أم صدف رقمية)، ص 21، ط 3، 2002م.

2 مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ج2، ص835، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، 1990م.

4. كلمة ﴿ **لَفِيفًا** ﴾: فيها معنى الالْتواء: ففي المعجم الوسيط: (لفَّ: أيِ الْتوى عِرْقٌ في ساعده) [1].

إنَّ كلَّ مَنْ يتأمل الهجرات اليهودية إلى فلسطين يجد أنها كانت بطرق ملتوية، وغير شرعية، فقد سيطروا على فلسطين بمساعدة الاحتلال البريطاني الذي كان يغتصب فلسطين، وهم الذين وَعَدُوا اليهود بمنحهم فلسطين وطناً قومياً لهم.

إنَّ كلَّ هذه المعاني والإشارات تجعلنا على يقينٍ راجح من أنَّ الإفساد الذي نراه الآن لبني إسرائيل في فلسطين المباركة هو الإفساد الثاني الذي عبَّرت عنه الآية الكريمة: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا ﴾ {الإسراء: ١٠٤}.

1 مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ج2، ص835، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، 1990م.

الوقفةُ الخامسةَ عشرةَ

﴿لِيَسُـٔۥُا وُجُوهَكُمۡ﴾

أوَّلُ الــزَّوال

إنَّ إساءة الوجه تعبيرٌ مجازيٌّ يُستخدَم للتعبير عن كشف السَّوءات، والافتضاح والحطِّ من القدر، ومثلُه ما جاء في الآية في وصف يوم القيامة ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةً سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ {الملك: ٢٧ }وكما في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٌۚ﴾ {آل عمران: ١٠٦}، فليس المُراد هو اللون الأبيض أو اللون الأسود، فإنَّ من المؤمنين من هم أصحاب بشْرةٍ سوداء، لكن المراد – والله أعلم – أنَّ المؤمنين سيشعرون بالعزة، والكرامة، والشرف، والرفعة، وهم يأخذون كتبهم بأيمانهم، ويكونون مع فريق أهل الجنة، وأنَّ الكافرين سيشعرون بالخزي، والعار، والخِسَّة، والافتضاح، وهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، أو من وراء ظهورهم، فيكونون مع فريق السعير.

فليس الأمر يتعلق بالوجوه من الناحية الحسية المادية، ولكنَّ اليهود سيُفتَضَح أمرُهم، وتتكشف مخازيهم.

يقول الطاهر بن عاشور: (وتقدير الكلام: فإذا جاء وعد الآخرة بعثنا عليكم عباداً لنا، ليسوءوا وجوهكم)[1].

﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾:

إنَّه أوَّل السقوط للإفساد الإسرائيلي في الأرض، وأوَّل الزوال لهذا العلو الإسرائيلي، والاستكبار اليهودي في فلسطين المباركة.

وهو تعبير فيه كناية عن افتضاح أمركم وكشفكم، لتظهر حقيقتكم السيئة للناس في كل مكان، فتكون سمعتكم سيئة، ويكون اسمكم سيِّئاً، في مقدمةٍ لزوالكم، والقضاء على إفسادكم وفسادكم.

إنَّ أوَّل المهمَّات التي سيقوم بها عباد الله في وعد الآخرة هي إساءة وجوهكم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ {الإسراء: ٧}.

(إنَّ إساءة الوجه لليهود تعني: هزيمتهم في المعركة وإزالة إفسادهم، والقضاء على علوِّهم وغطرستهم، وسَوْء وجوههم يبدو في مرارة الهزيمة، التي ينتج عنها ذُلُّهم وهوانُهم وضعفُهم)[2].

---

1 ابن عاشور، محمد الطاهر، (تفسير التحرير والتنوير)، المجلد السابع، ص36، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

2 العفَّاني، سيد حسن، (تذكير النفس بحديث القدس واقدساه) الجزء الثالث، ص 384، مكتبة معاذ بن جبل، 2001م.

وقد بدأتْ فعلاً عملية إساءة وجوه اليهود، بعد أنْ كانوا يستعطفون شعوب العالم، ليساندوهم ويعترفوا بهم، وأنهم بحاجة لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، فهم بلا وطن، وبلا مكان يجمعهم على الأرض.

ومن أقدار الله وحكمته أنَّ مرحلة إساءة وجوه اليهود قد جاءت في زمن تطوَّر فيه الإعلام بصورة كبيرة، وانتشرت فيه الفضائيات، ووسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا الحديثة، بحيثُ لا يخفى أمرهم على كل سكان الكرة الأرضية، فلا يكاد حدث يحدث في فلسطين إلاّ ويطَّلع عليه جميع البشر فوراً.

ويمكنني الإشارة إلى بعض مظاهر إساءة وجوه اليهود اليوم على أيدي عباد الله من أهل فلسطين المباركة كما يلي:

1. في الوقت الذي استطاعت فيه (إسرائيل) احتلال فلسطين، وطرد مئات الآلاف من أهلها في سنة 1948م، وفي الوقت الذي احتلَّت فيه (إسرائيل) شبه جزيرة سيناء، وهضبة الجولان، وغلبَت العرب في حروب عديدة، نجد أنَّ أطفال فلسطين وشبابها قد أساءوا وجوه اليهود في الانتفاضة الأُولى والثانية أمام العالم كلِّه، فقد كان الإعلام العالمي والمحايد ينقل إرهاب اليهود على الهواء مباشرة،

وهو يقتل الأطفال، مثل الطفل (محمد الدُّرَّة) الذي مزَّقه رصاصُ جنود الاحتلال وهو يختبئ في حضن أبيه في أرض مكشوفة، ولا يرحم شيخاً أو امرأة، ولا يسْلَم من إرهابه وعدوانيته شجر ولا حجر، وكان في نفس الوقت يتعرض للإهانة، وهو يعجز عن كسر إرادة هؤلاء الشباب المنتفضين رغم أنه يملك الطائرات الحربية، والدبابات العملاقة.

2. المجازر العديدة التي ارتكبها اليهود ضدَّ الآمنين من الرجال والنساء والأطفال جعلت صورتهم قبيحةً أمام كلِّ البشر، وجعلت كثيرًا من الدول تُوجِّه إليهم اللوم والاستنكار والشجب والإدانة بشكل مستمر، وهذا لا شكَّ إساءةٌ للوجوه.

3. هروب أفرادٍ من الجيش الإسرائيلي من أمام المجاهدين (رجال المقاومة) أمام الإعلام المباشر، وهذا أساء وجوههم بلا شكّ.

4. انسحاب الاحتلال الإسرائيلي من قطاع غزة سنة 2005م أمام العالم كلِّه هربًا من ضربات المقاومة، وهجمات المجاهدين.

5. سقوط أسطورة (الجيش الذي لا يقهر) التي كان يرددها اليهود في كلِّ المحافل، لكننا رأيناهم كيف يندحرون أمام المقاومين في العديد

من المواقع في غزة، والضفة الغربية، وأرض فلسطين التي احْتُلَّت سنة 1948م.

6. خطف رجال المقاومة للجنود الإسرائيليين من دباباتهم ومواقعهم وهم مُدجَّجُون بالسلاح، ويغطيهم الطيران على مدى الليل والنهار.

7. نجاح العمليات الاستشهادية المختلفة في عمق الكيان الإسرائيلي المحتل، وكذلك العمليات النوعية التي أساءت وجوه اليهود فيما بينهم، وأمام العالم كلّه.

8. ضرب العمق الإسرائيلي بالصواريخ من قِبَل المجاهدين في غزة، مما أساء وجوههم أمام العالم كله، في مقدِّمة للزحف نحو القدس.

9. صمود المقاومة الفلسطينية في غزة والضفة، رغم ضراوة الهجمات التي تشنُّها (إسرائيل) ضدَّها، وليس أدلّ على ذلك من هذه الحروب الثلاث المتتالية التي صمدت فيها غزة وأهلُها ومقاومتُها، وأوقعت المقاومة خسائر فادحة في صفوف الجنود اليهود وآلياته.

10. يُستدل من استطلاع للرأي أُجري في بريطانيا حول نظرة البريطانيين إلى الدول والشعوب الأخرى: (أنَّ نسبة كبيرة من البريطانيين تعتبر إسرائيل أقبحَ دولةٍ في العالم وغيرَ ديمقراطية، وإحدى الدول الخطيرة، ويتَّضح من النتائج التي توصَّل إليه

الاستطلاع الذي أُجري لصالح صحيفة (ديلي تلغراف) أنَّ (إسرائيل) احتلت المرتبة الأولى في باب (**أقبح دولة في العالم**)، وتحتل (إسرائيل) أيضًا المرتبة الأولى في أكثر الدول التي يفضّل البريطانيون عدم زيارتها، ويرفضون السكن فيها) [1].

إنَّ إساءة المقاومة الفلسطينية لوجوه اليهود هي أول الزوال لدولتهم وإفسادهم، وهي بداية السقوط لعلوِّهم الكبير.

وإنَّ ما نراه بأعيننا اليوم من إساءة لوجوه اليهود يجعلنا على يقينٍ أننا على مقربةٍ وشيكةٍ من قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧﴾ **{**الإسراء: ٧**}**.

إنَّ عباد الله في وعد الآخرة الذي نراه، قد بعثهم الله تعالى، ليسوؤوا وجوه اليهود، ويفضحوا أمرهم وعدوانهم، ويكشفوا حقيقتهم وسوءاتهم، فيظهروا بأنهم بيت من زجاج سريع الكسر والانكسار، أو أنهم كبيت العنكبوت، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ **{**العنكبوت: ٤١**}**، في مقدمة لهزيمتهم قريبًا بإذن الله .

1 الموقع الإلكتروني: (عرب 48) بتاريخ 2010/10/31م).

الوقفةُ السَّادسةَ عشرةَ

﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾

تَحريـرُ بَيْتِ المَقْدِس

إنَّ المهمة الثانية للعباد الذين يبعثهم الله تعالى في وعد الآخرة، بعد إساءة وجوه اليهود، هي تحرير بيت المقدس من إفساد بني إسرائيل الثاني والأخير: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ {الإسراء:7}.

ويمكنني هنا الوقوف عند أمرين:

أولاً: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾:

إنَّ المُراد بالمسجد هنا هو (المسجد الأقصى) الذي كان الإسراء إليه، ومنه كان العروج إلى السموات، فهو بيت المقدس، ومركزية الطهارة، وهو الذي بارك الله فيه وحوله، فكانت فلسطين هي الأرض المباركة والمقدسة ﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ {الأنبياء: ٧١}، وهي الأرض التي أفسد بنو إسرائيل فيها مرتين، وعَلَوْا عُلُوًّا كبيرًا.

وقد أُخِذت هذه القدسية من قدسية المسجد الأقصى وطهارته، وإنما سميت مدينة القدس ببيت المقدس – كما في الأحاديث الصحيحة – لوجود بيت الله (الأقصى) فيها، وقد حظيت بهذه القدسية فأصبحت بيتًا للقداسة والطهارة، وهي المسجد.

- يقول أبو الفرج بن الجوزي في زاد المسير: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾: يعني بيت المقدس[1].

- ويقول البغوي في معالم التنزيل: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾: أيْ بيت المقدس ونواحيه[2].

- وكذلك قال ابن عجيبة الحسني[3]، والسمرقندي [4]، وأبو بكر الجرائري [5]، والزحيلي [1]، وغيرهم.

---

1 ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، (زاد المسير في علم التفسير) المجلد الخامس، ص9، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

2 البغوي، أبو محمد الحسين، (مختصر تفسير البغوي المسمَّى معالم التنزيل)، الجزء الأول، ص508، مكتبة المعارف، الرياض1996م.

3 ابن عجيبة الحسني، أبو العباس أحمد، (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) المجلد الرابع، ص9، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

4 السمرقندي، نصر الدين محمد، (تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم)، الجزء الثاني، ص302، دار الفكر، بيروت، 1997م.

5 الجزائري، أبو بكر جابر، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) الجزء الثاني، ص217، دار الحديث، القاهرة، 2006م.

وإنّما يدخل هؤلاء الداخلون للمسجد الأقصى والمدينة المقدسة (بيت المقدس)، دخولَ الفاتحين المحررين، ليعلنوا سقوط الإفساد الإسرائيلي في كلِّ الأرض المباركة (فلسطين) بإذن الله تعالى.

وكأنّي أراهم الآن، وأسمعهم وهم يهتفون، كما هتف النبيُّ (ﷺ) عندما دخل مكة فاتحًا منتصرًا: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ {الإسراء: ٨١}.

ثانيًا: ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾:

إنَّ الآية تصف شكل هذا الدخول للمسجد الأقصى، والمدينة المقدسة (بيت المقدس)، فهو ليس مجرَّدَ دخول، بلْ إنَّه دخول كالدخول الأوَّل في الإفساد الأوَّل: ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ {الإسراء: 7}.

وحرف الكاف في قوله تعالى: ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ {الإسراء: 7}. يجعلنا نستحضر شكل الدخول الأوَّل، وطريقته، ونتائجه، فهما صورتان متشابهتان.

---

1 الزحيلي، وهبة، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) الجزء الثامن، ص22، دار الفكر، دمشق، ط11، 2011م.

يقول الطاهر بن عاشور: (ودخول المسجد دخول غزو بقرينة التشبيه في قوله تعالى: (كما دخلوه أول مرة) المراد منه: فجاسوا خلال الديار[1].

وهنا نسأل: كيف كان الدخول أول مرة؟

يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ﴾ {الإسراء: ٥}، فَلْنتدبَّر الآية من جديد لنقف عند بعض المعاني والإشارات، فنستدلَّ من خلالها على كيفية دخول المسجد في المرَّة الأولى:

الإشارة الأولى ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾:

نجد في كلمة ﴿ عَلَيۡكُمۡ ﴾ معنى العلوّ والغلبة والاستحواذ والقهر والسيطرة، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ ﴾ {المائدة: ٢٣}، فهم عباد لله مبعوثون على بني إسرائيل، وليسوا مبعوثين لبني إسرائيل، أو إلى بني إسرائيل، وهذا يوحي بأنَّ الدخول كان فيه استحواذٌ وسيطرة، وغلبة وتحكّم، وهو نفسه ما سيكون في الدخول الثاني بإذن الله تعالى.

1 ابن عاشور، محمد الطاهر، (تفسير التحرير والتنوير)، المجلد السابع، ص37، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

الإشارة الثانية ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾:

فقد جاء التعبير القرآني دقيقًا جدًا، ليحمل إلينا المعنى المراد من الله تعالى دون لبس أو غموض، فهؤلاء عبادٌ لله مأمورون من الله تعالى، وهم جندٌ من جنوده، ينفذون قضاءه، ويحقِّقون وعده، ولا مكان للتردد، أو الخوف، أو التراجع في تنفيذ أمر الله تعالى بالقضاء على إفساد بني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين).

الإشارة الثالثة ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾:

إنهم عباد لله أشدَّاء أقوياء، يمتلكون من الشجاعة والجسارة والجرأة ما يجعلهم جديرين بأن تُسند إليهم مهمة القضاء على العلوِّ الكبير الذي كان عليه بنو إسرائيل في إفسادهم الأول، فلا خوف يحجزهم، ولا تردُّدَ يمنع تقدمهم، بل يندفعون كالأسود نحو مهمتهم وأهدافهم.

فالدخول لا بُدَّ أنّه كان دخولًا قويًا من قوم أقوياء أشداء، لم يقْوَ على دفعهم أو ردِّهم بنو إسرائيل برغم عُلُوِّهم الكبير، وهذا من آيات الله الكبرى أنْ ينتصر عبادٌ لله أولو بأس شديد على بني إسرائيل بالشجاعة والإقدام، لا بالأسلحة المتطورة، ليتحقق بذلك أنَّ الفئة القليلة يمكن أنْ تهزم الفئة الكبيرة بإذن الله تعالى .

وهو نفس ما سيحدث في الدخول الثاني لبيت المقدس بإذن الله تعالى، فيكون إعلانًا للفتح والتحرير، وزوال (إسرائيل) .

الإشارة الرابعة ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾:

إنَّ الجَوْس فيه معنى التردد ذهابًا وإيابًا، بهدف التفتيش والفحص والتقصِّي، وإنما يحدث هذا الجوس من أولي البأس الشديد وهم يدخلون المدينة المقدَّسة، يفتِّشون خلال الديار عن المختبئين من بني إسرائيل، لقتلهم، أو أسرهم، أو معاقبتهم، أو طردهم.

فهم لم يكتفوا بمقاتلة من يقاتلهم، بل كانوا يجوسون بين الدّيار والأزقَّة، والبيوت والشوارع، بحثًا عن كلِّ من ينتمي لدولة اليهود من الرجال والنساء، لئلا يكون لهم أملٌ في البقاء في الأرض المباركة، فيُفسِدوا من جديد.

إنَّنا نستطيع إذنْ أنْ نتخيَّل كيف كان الدخول في أوَّل مرَّة، فنعرفَ أنَّه كان دخولاً عنيفًا وقويًا، فيه علوٌّ، وسيطرةٌ، وقتلٌ، وسبْيٌ، ونفس الأمر سيحدث في وعد الآخرة ، وسيبعث الله على اليهود عبادًا له أشداء أقوياء أُولي بأس شديد، وسيدخلون المدينة المقدَّسة كما دخلوها أوَّل مرة ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

{الإسراء:7}، وسيجوسون خلال الدِّيار كما جاسوا في أوَّل مرَّة، وسيقتُلون ويسْبُون ويأسرون كما فعلوا في المرَّة الأولى بإذن الله تعالى.

ومعلوم أنَّ الذين دخلوا المدينة المقدَّسة في أوّل مرّة هم البابليُّون بقيادة الملك نبوخذ نصَّر، فقَضَوْا على فساد بني إسرائيل، وعلوِّهم الكبير في سنة 586 ق. م، كما ترجَّح في الوقفة السابعة.

ولا يغيبَنَّ عنَّا أنَّ البابليِّين هم قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية، واستقرَّت في العراق، ثم انتشروا في بلاد الشام أيضًا، ممَّا يُرجّح أنَّ العباد الأشدَّاء المبعوثين على بني إسرائيل في وعد الآخرة الحالي هم عربٌ، ومن أصولٍ عربية، وفي نفس الوقت هم الآن مسلمون، ينتهجون الإسلام في حياتهم، ومقاومتهم، ويُقارعون الكفر بأشكاله، ويتحدَّوْن قوى الكفر التي تدعم وتساند (إسرائيل) منذ تأسيسها، وبإذن الله تعالى سيدخلون بيت المقدس فاتحين محرِّرين قريبًا، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الوقفةُ السابعةَ عشرةَ

﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾

الـزَّوَال

هذه هي المرحلة الأخيرة لزوال الإفساد الإسرائيلي عن الأرض المباركة فلسطين، إنَّه التَّتْبير لكل ما يرمز لقوة اليهود وعلوِّهم الكبير بكلِّ صوره وأشكاله.

(وهي مرحلة هزيمة وإزالة، وليس إبادة، تحدثت عنها سورة الإسراء، والتي تُوَجَّه إلى كيان اليهود على أرض فلسطين لتدميره، وإلى إفسادهم الثاني لإزالته، والتي تنتهي بانتصار المسلمين المجاهدين على اليهود، ويتحقق فيها تدمير كيانهم، وإزالة إفسادهم، واسترداد فلسطين كلِّها منهم، وتحويل اليهود بها إلى قوم أذلاء مستضعفين، ومجموعات مشتتة في مختلف البقاع)[1].

إنَّ التَّتْبير هو الإهلاك والتدمير، والتحطيم والتكسير والتفتيت، بحيثُ لا يبقى مما تَمَّ تتبيره شيءٌ يقوم بذاته، وفي هذا يقول الله تعالى

1 العفَّاني، سيد حسن، (تذكير النفس بحديث القدس واقدساه) الجزء الثالث، ص 384، مكتبة معاذ بن جبل، 2001م.

على لسان نوحٍ عليه السلام: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ {نوح: ٢٨}، أي لا تزدهم إلا دمارًا وإهلاكًا لا يُبقى لَهم باقية.

ولن يقع هذا التَّتبير إلا بعد دخول بيت المقدس، وتحرير المسجد الأقصى: ﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ {الإسراء:7}، حيثُ سيكون هذا الدخول عنيفًا وقويًا يتم فيه تحرير المدينة المقدسة من اليهود المغتصبين الذين تدعمهم قوى الظلم العالمية، في حالة من الخذلان العربي الرسمي، وهذا يستدعي قتالًا في كلِّ مكان من القُدْس، كما فعلوا في أوَّل مرَّة ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾ {الإسراء:7}.

إنَّ دخول القدس والمسجد الأقصى لن يتمَّ إلا بعد الانتصار على اليهود في معاركَ كثيرةٍ تسبق هذا الدخول، وستبدأ عمليات عسكرية عنيفة وقوية، ستتبعها عملية التتبير بإذن الله تعالى.

إنَّ دخول القدس سيكون ذروة الانتصار، وغاية المجاهدين في المرحلة الثانية، تمهيدًا للتَّتبير، وهو المرحلة الثالثة والأخيرة، خاصَّة أنَّ القدس هي المدينة التي يتَّخذها اليهود عاصمةً مركزيةً لقوتهم السياسية والسيادية، **لذا فإنَّني أرى أنَّ أكثر ما يكون من التَّتْبير سيكون في القدس.**

﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾: ويُمكنني الوقوف عند بعض المعاني والدلالات في الآية الكريمة:

1.﴿مَا عَلَوْاْ﴾: أيْ ما استولَوْا وسيطروا عليه بالقوة والقهر والغلَبة، فالداخلون للقدس والمسجد الأقصى سيتبِّرون ما سيطروا عليه وغلبوه وقهروه بطريق القوة والقتال والانتصار، على اعتبار (ما) اسمًا موصولًا بمعنى الذي .

وواضحٌ أنَّ ما يتمُّ الاستيلاء أو السيطرة عليه في القدس يكون بعد معارك طاحنة وعنيفة مع اليهود، فاستحقَّ التدمير والإهلاك والتَّتْبير.

ويمكن أنْ نفهم أيضًا أنَّهم سيتبِّرون كلَّما عَلَوا، أو سيتبِّرون ما استمرَّ انتصارهم وعلُوُّهم على اعتبار (ما) ظرفية للزمان.

وأيًّا ما كان الفهم ففي كلا الأمرين سيكون التتبير بالقوة والغلبة والعُلُوّ.

أيْ أنهم سيتبِّرون ويدمِّرون ما كان يتحصّن فيه اليهود من أبراج وحصون ومواقع ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ {الحشر: ١٤}، فلا يبقى لهم مكانٌ يلجؤون إليه، ولا تبقى لهم فئة ينحازون إليها.

2.﴿ تَتۡبِيرًا ﴾: وفي التَّتْبير قهرٌ نفسيٌّ لليهود وخِزْيٌ، لتغتاظ نفوسُهم حسرةً وألمًا وحزنًا، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ ﴾ {الحشر: ٥}، فإنَّ الخِزْيَ ينطوي على الحسرة، فضلاً عن المَعَرَّة والافتضاح من أثر الهزيمة.

3.﴿ تَتۡبِيرًا ﴾: جاء المفعول المطلق، ليؤكِّد الفعل (وليتبروا)، ولكنّه تَتْبيرٌ حقيقيٌّ مُطْلَق، يجعلنا نتصور الدَّمار والإهلاك كأنَّه يقع أمامنا دون قيود على هذا الدمار والإهلاك والتفتيت.

4. ﴿ مَا ﴾: اسم موصول بمعنى الذي، وهي هنا مفعول به، أيْ ما سيقع عليه فعل التَّتْبير.

وهذا يجعلنا نفكر في السؤال التالي:

ماذا سيُتبِّر هؤلاء المنتصرون (ما الذي سيتمُّ تتبيره في القدس وفلسطين)؟

معلومٌ أنَّ اليهود يتّخذون من القدس عاصمة لهم، وهي تضم مواقع وأماكن ومؤسسات تعتبر رمزًا للسيادة الإسرائيلية على القدس، وأرى أنَّ هذه الأماكن والمواقع ستشهد مواجهاتٍ عنيفةً وطاحنةً مع اليهود، بما تشكِّل من رمزية للوجود والقوة لليهود في القدس وفلسطين.

وستكون النتيجة لصالح الداخلين إلى القدس من المقاتلين والمجاهدين، وسيقومون بتتبير كل هذه المؤسسات والمواقع بما فيها، وعلى مَنْ فيها، بإذن الله تعالى .

ومن هذه المواقع والمؤسسات:

1. مقرّ الكنيست (البرلمان الإسرائيلي)، والذي يرمز إلى الوجود السياسي لليهود في القدس وفلسطين.
2. مجلس الوزراء (الإسرائيلي)، ومقرّ الحكومة (الإسرائيلية)، وهي تعتبر أيضًا رمزًا للسيادة الإسرائيلية على القدس وفلسطين.
3. وإذا كانت الروايات التاريخية تتحدث عن أنَّ نبوخذ نصّر قد قيّد الملك اليهودي (صِدْقيا) وقلع عينيه في الدخول الأول، فإنّي أتوقّع أنْ يتمَّ أَسْر أو قتل رئيس الحكومة الإسرائيلية، أو رئيس الدولة الإسرائيلية في وعد الآخرة الحالي بإذن الله، لكن دون تمثيل، أو تشويه، لخصوصية شرعنا الحنيف، حيثُ ينهانا عن المثلة.
4. مؤسسات رئاسة الدولة، ومكتب رئيس الدولة، والذي يرمز إلى قوة اليهود وعلوِّهم.
5. المدارس الدينية التوراتية، وهي التي ترمز إلى عقيدتهم المنحرفة.

6. الكُنُس اليهودية (المعابد اليهودية) وما تشكله من تهويد للقدس وفلسطين، من خلال تحويلها إلى مساجد.

7. المواقع والوزارات الحكومية على اختلافها، والتي يمكن أنْ يكون بقاؤها شاهدًا على استمرار الإفساد والعلوِّ الإسرائيلي.

8. المواقع العسكرية المختلفة، ومواقع التدريب، وأبراج المراقبة، حيث ترمز إلى القوة والعلوِّ الإسرائيلي.

9. الجدار الفاصل والحواجز التي تمزِّق نسيج المدن الفلسطينية.

10. السفارات المختلفة للدول التي اتخذت من القدس مقرًا لها كعاصمة لدولة اليهود.

11. كلُّ الرايات والأعلام الإسرائيلية في أيِّ مكان من فلسطين.

12. كلُّ اللوحات المكتوب عليها بلغة اليهود، حيث ترمز إلى تهويد القدس وفلسطين.

ولا يقتصر التَّتْبير على الجانب الماديّ، بل سيمتدُّ إلى تتبير العلوِّ المعنويّ، وتحطيم ما ترمز إليه (إسرائيل) من القوة والعنجهية، والسيطرة والغنى، وغير ذلك مما يرمز إلى الإفساد والعلوّ الإسرائيلي في القدس وفلسطين.

ولا أظنُّ أنَّ المجاهدين المنتصرين سيتبّرون المساكن والعمارات السكنية، بل سيتَّخذونها غنائم للاستفادة منها في إيواء أكثر من ستة ملايين لاجئ فلسطيني في الشَّتات منذ 1948م، وكما قال ربُّنا عزَّ وجلَّ في حق يهود بني قريظة: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾{ الأحزاب: ٢٧}.

ولا أظنُّ أنْ يتمَّ تتبير المدارس العاديَّة، أو المستشفيات، أو الشوارع، أو الأشجار، أو المؤسسات العامّة، إذْ تُعتَبَر غنائم للمسلمين، وحقّاً مستردًّا لهم، فاستهداف المؤسسات بالتتبير لا يُقصد به المباني لذاتها وإنما بقدر ضررها على المسلمين، مثل المقرات العسكرية وما شاكلها.

وسيُصلِّي الفاتحون المنتصرون في المسجد الأقصى المحرَّر صلاة الشكر على النَّصر والتحرير بإذن الله تعالى، وستعلو في القدس أصوات التكبير، وسيخِرّ الموحّدون للأذقان سُجّدًا، ويقولون سبحان ربنا إنْ كان وعد ربنا لمفعولًا، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ {الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩ }.

وسيهتف الفاتحون كما هتف النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم في فتح مكة: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ {الإسراء: ٨١}، وسيُسبِّحون بحمد ربِّهم كثيرًا، وسيستغفرونه كثيرًا، وسيتْلُوون قول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ {النصر: ١ - ٣}.

ومع تحرير بيت المقدس، والتي سيدافع عنها اليهود أكثر من غيرها، باعتبارها عاصمتَهم ومقرَّ حكمهم وإفسادهم، سينطلق المجاهدون إلى بقية فلسطين يطهِّرونها، ويتبِّرون كلَّ مظاهر الإفساد والعلوِّ الإسرائيلي فيها، وسيهرب اليهود من أمام وجوههم، ولن يبقى يهودٌ في فلسطين بإذن الله تعالى.

ماذا بعد التَّتْبير (الزَّوال)؟

إنَّ عملية التَّتْبير التي سيقوم بها المجاهدون لكلِّ رموز الإفساد الاسرائيلي في الأرض، ستعني نهاية (إسرائيل)، وزوالها بشكل كامل، وسيزول معها كل مظاهر علوِّهم الكبير، فلا يبقى علوٌّ سياسي لهم، ولا علوٌّ اقتصادي ولا علوٌّ عسكري، ولا علوٌّ إعلامي، وسيسيطر المجاهدون المنتصرون على المطارات العسكرية، والطيران الإسرائيلي، وستصبح الموانئ وما فيها من السفن الحربية والمدنية غنائم للمنتصرين، وسيستفيدون منها في دولتهم القادمة التي ستقود الزحوف للبلوغ بهذا الدين ما بلغ الليل والنهار بإذن الله تعالى.

ويمكنني أنْ أتوقع بعد عمليات التَّتْبير النتائج التالية:

أولاً: الإعلان عن تحرير فلسطين، وعودتها إلى حضن شعبها وأهلها، وأمتها العربية والإسلامية، وسقوط ما يسمَّى زُورًا (دولة إسرائيل)، وزوال كيانها عن الوجود.

ثانيًا: هروب اليهود من فلسطين إلى بلادهم التي قدموا منها، أو إلى أيّ مكان خارج فلسطين، فضلًا عن قتل الكثير منهم أثناء عملية التحرير والتتبير والتطهير.

ثالثًا: تخلِّي الغرب عن اليهود، وعن دعمهم، خاصّة بعد ظهور ضعفهم أمام المجاهدين، ورجال المقاومة الفلسطينية، وهو انقطاع حبل الناس في قول الله تعالى: ﴿ بِحَبۡلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ {آل عمران: ١١٢ }.

رابعًا: سقوط الأنظمة العربية التي كان وجودها مرتهنًا بالوجود الإسرائيلي في المنطقة، وسيكون ذلك السقوط على أيدي شعوبهم الثائرة المنتفضة بإذن الله تعالى، وقد يسبق هذا مرحلة التَّتبير بفضل الله ورحمته.

خامسًا: الإعلان عن قيام دولةٍ إسلاميّةٍ ناظمةٍ لكل العرب والمسلمين، تكون عاصمتُها بيتَ المقدس.

سادسًا: عودة اللاجئين الفلسطينيين من مخيمات اللجوء والشتات إلى مدنهم وقراهم في وطنهم فلسطين، وستقوم لجانٌ وجهاتٌ حكومية متخصِّصة باستيعاب هؤلاء العائدين في العمارات والمساكن التي تمَّ اغتنامها من اليهود، وإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم، وتعويضهم عن عشرات السنين من التشريد والحرمان والملاحقة بإذن الله تعالى.

جُـــنْدُ التَّحــرِيـــر

ويسأل سائلٌ:

أولًا: كيف ستُحرَّر فلسطين من هذا الاحتلال القويّ والمدعوم من الغرب، ومن العرب والمسلمين كذلك؟

ثانيًا: ومن سيكون هؤلاء العباد الذين سيبعثهم الله تعالى لدخول بيت المقدس، وتحرير الأقصى، وإزالة الإفساد الإسرائيلي في الأرض؟

ثالثًا: هل سيأتون من خارج فلسطين؟

رابعًا: هل هم أهل فلسطين؟

خامسًا: أم إنّهم من خارج فلسطين ومن داخلها؟

فلنستعرض هذه النصوص والأحاديث الصحيحة، لنَصِل معًا إلى إجابة هذه الأسئلة:

1. عن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأواء[1] حَتّى**

1 اللأواء: ضيق المعيشة، (المعجم الوسيط).

يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: « بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ).[1]

2. عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **(لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ).**[2]

3. عن معاويةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **(لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ).**[3]

4. عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ).**[4]

---

1 مسند أحمد (36/ 656) ح 22320، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

2 متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" [النحل: 40]، ح 7459، ومسلمٌ في صحيحه، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ)، ح 1921.

3 صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب "سؤال المشركين أن يريهم النبي عليه السلام آية"، ح 3641.

4 صحيح مسلم، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ)، ح 1920.

5. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: **(لَا يَزَالُ لِهَذَا الْأَمْرِ - أَوْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ - عِصَابَةٌ عَلَى الْحَقِّ، وَلَا يَضُرُّهُمْ خِلَافُ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ)**.[1]

6. عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**.[2]

7. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرُّهم مَنْ خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، فهم كالإناء بين الأكلة، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس)** [3].

8. قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يَا ابْنَ حَوَالَةَ [هو عبد الله بن حوالة الأزديّ]، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ**

---

1 مسند أحمد (14/ 25)، ح 8274. وقوّى الأرناؤوط إسناده.

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح 156.

3 صحيح الاسناد.

الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ[1] **وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوَالَةَ حِمْصِيٌّ).**[2]

9. وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تبرح عصابة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين، لا يبالون خذلان من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله على ذلك)**[3].

10. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرُّهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أنْ تقوم الساعة)**[4]

---

1 البَلابِل هنا: مُفْردُها البَلْبَال، والبَلْبَالَة: وهي شدَّة الهَمِّ، والوسْوَاس، نقول: بَلْبَلَ المتاعَ بَلْبَلَةً، وبَلْبَالًا: فرَّقَهُ وبدَّدَه، وبَلْبَلَ القَوْمَ: أوقَعَهُمْ في شِدَّةٍ من الهَمِّ والوسَاوِس، وبَلْبَلَ اللهُ ألْسِنَةَ الخَلْقِ: فَرَّقَهَا(المعجم الوسيط ج1، ص68).

2 سنن أبي داود، كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالْغَنِيمَةَ، ح 2535. وصحّحه الألباني.

3 رواه أبو يعلى رقم (7366)، والطبراني في الكبير (386/19)، قال الهيثمي: رجاله ثقات.

4 أخرجه أبو يعلى (6417)، والطبراني في الأوسط (47)، وابن عدي في الكامل 7/74، قال الهيثمي: رجاله ثقات.

11. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(أوّل هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون مُلكًا ورحمة، ثم يتكادَمُون عليه تكادُم الحُمُر**[1]**، فعليكم بالجهاد، وإنَّ أفضل جهادكم الرباط، وإنَّ أفضل رباطكم عَسْقَلان)**[2].

12. عن معاوية بن قرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم....... حتى تقوم الساعة)**[3]

---

1 (يتكادَمُون عليه تكادُمَ الحُمُر): نقول: تَكَادَم الفَرَسَانِ: عضَّ أحدُهما صاحبَه، والحُمُرُ جَمْعُ حمار، (المعجم الوسيط، ج2، ص780).

2 أخرجه الطبراني في الكبير(88/11)(11138)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"(190/5): " رجاله ثقات"، وصححه الألباني في الصحيحة(3270). **وعسقلان مدينة تقع جنوب فلسطين على البحر المتوسط، ومن جنوبها غزة المحاصرة التي تجاهد وترابط بصبر وقوة.**

3 أخرجه الترمذي(4/485)(2192)، وقال: "حسن صحيح"، وأحمد (3/436)(15635)، وابن أبي شيبة(6/409)(32460)، والطبراني (19/27) (56,55)، وابن حبان(16/292)(7302)، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص:19، والسلسلة الصحيحة رقم(403)، وصحيح الترمذي(2192)، وصحيح الجامع (702)، وصححه الوادعي في الصحيح المسند (1083)، وشعيب الأرناؤوط في مسند أحمد (3/436).

ومن خلال استعراض الأحاديث السابقة على اختلاف رواياتها، نجد أنّها تتحدث في مجموعها عن طائفة من أمّة النبيِّ محمد (ﷺ) تتَّصف بما يلي:

أولًا: صفة الاستمرار، وعدم اليأس، وهذه الصفة نأخذها من التعبير: (ولا تزال) و(يظلُّون)، فهم مستمرون في صبرهم ومقاومتهم بلا توقُّف.

ثانيًا: الظهور على الحق، والدفاع عنه، والتمسك به، وهو الذي عبّرت عنه بعض الأحاديث بلفظ (الدِّين)، فهو ظهور دين، وفكرة حق.

ثالثًا: قهر الأعداء (لعدوِّهم قاهرين) بمقاومتهم وجهادهم وقتالهم، وإيقاع النكاية في صفوفهم، وقضِّ مضاجعهم، فلا تقرُّ لهم عين، ولا يهنأ لهم عيش، ولا تستقرُّ لهم إقامة.

رابعًا: (لا يضرُّهم خذلان القريب، ولا مخالفة البعيد)، بل يظلُّون في طريقهم، مع بقاء الخذلان والمخالفة لهم من القريب والبعيد، لتحقيق أهدافهم في الجهاد والرباط من أجل التحرير، وإقامة الخلافة الإسلامية، لتكون السيادة لشريعة الله .

خامسًا: (شدَّة ما يصيبهم من اللأواء، والصبر على الأذى والحصار والتّضييق)، وليس أدَلَّ على ذلك من هذا الحصار الخانق الذي

تتعرَّض له غزةُ ومقاومتُها، والتي تقع إلى الجنوب من عسقلان أفضل الرباط، فإنّ (إسرائيل) تمارس ضدَّها كلَّ أشكال الظلم السياسي، والاقتصادي، والعسكري، فتغلق في وجهها المعابر، وتشنّ عليها الحرب تِلْوَ الحرب، وتمنع عنها مقوِّمات الحياة الإنسانية، هي وعملاؤها من بني جلدتنا أو قوميّتِنا.

وشبيهٌ به ما يحدث لأهل الضفة الغربية من الظلم الذي لا يتوقف، ففي كلِّ مكانٍ (مستوطنةٌ إسرائيلية)، أو جدار، أو حاجز، وهناك اعتقالات يومية، وقتل، وتعذيب، واقتلاع للأشجار، ومصادرة للأراضي، وهدم للبيوت.

ويتعرض لنفس الخنْق والمحاسبة البوليسية العنصرية أهل فلسطين (الداخل) في أرض (48)، الذين يواجهون التمييز العنصري بأبشع أشكاله وصوره على أيدي اليهود المفسدين، الذين يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون.

سادسًا: بقاء الخذلان من القريب، والمخالفة من البعيد، حتى يأتي أمر الله، وهذا نجده في قوله عليه الصلاة والسلام: (يظلُّون كذلك حتى يأتيهم أمر الله) .

سابعًا: تحالف الأعداء من الكفار والمنافقين عليهم، فهم كالإناء بين الأكلة، وهذا لا يخفى على كلِّ ذي عقل وعَيْن، فها هو العالم الظالم يقف مع (إسرائيل) ضدَّنا نحن الصابرين المجاهدين في فلسطين، وتتسابق الذئاب للنهش من لحومنا، دون أنْ نتراجع أو نيأس، تحقيقًا لحديث النبي (ﷺ): عن واثلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... **فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ**)[1].

ثامنًا: وجود هذه الطائفة في فلسطين: **(بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، وعسقلان)**، فهم في فلسطين، وهم الذين يسوؤون الآن وجوه اليهود، وهم الذين سيدخلون المسجد الأقصى، وهم الذين سيتبِّرون ما عَلَوْا تتبيرًا بإذن الله تعالى.

إنَّ هذه الصفات المذكورة في الأحاديث النبوية الصحيحة لا يتَّصف بها كلِّها إلا أهل فلسطين الذين يعيشون على أرض فلسطين في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، وعسقلان (غزة).

1 أخرجه الطبراني في الكبير، (58/22) (137) وفي مسند الشاميين(3387) وابن عساكر في تاريخ دمشق(1/78) وقال:" صحيح"، قال المنذري في الترغيب والترهيب(4/102):" رواته ثقات"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(10/62): " رجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (4070)، وصحيح الترغيب والترهيب(3090).

وهم الذين سيكون على أيديهم دخول بيت المقدس وتحريره عندما يأتيهم أمر الله، وهو قريب بإذن الله تعالى.

لكنَّنا في الوقت نفسه لا نستبعد مشاركة بعض المسلمين من خارج فلسطين في معارك التحرير والتَّتبير، ولكنَّ هذه المشاركات ستكون مشاركات فردية وشخصية، وليست جماعية، بسبب مواقف الحكومات والأنظمة العربية والإسلامية التي تساند (إسرائيل)، وتعمل على حمايتها، بل وتعاقب من يقاومها، أو يدعو إلى مقاومتها.

إنَّ هذا يجعلني أميل إلى القول بأنَّ تحرير بيت المقدس وفلسطين سيكون من الداخل، على أيدي أهل فلسطين الذين يعيشون هذه الحال من الظهور على الحق، وقهرهم للأعداء، وخذلان القريب لهم، ومخالفة البعيد، والصبر على اللأواء والأذى، وانتظار أمر الله تعالى، وبقائهم في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، وعسقلان (غزة)، مرابطين صابرين، فهم رأس الحربة، وجند التحرير، في تحقيق وعد الآخرة، وزوال إفساد بني إسرائيل.

ومن خلال بعض الأحاديث التي تَمَّ استعراضها، فإنَّني أتوقع أيضًا أنْ يقوم مقاتلون من خارج فلسطين بمساندة أهل فلسطين عن بُعْد، وهو ما يشير إليه قول النبي (ﷺ) في الحديث الصحيح رقم (10)

الذي ذُكِر آنفًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): **(لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أنْ تقوم الساعة)**[1].

وإذا كنَّا نفهم أنَّ أبواب بيت المقدس وما حوله هي دائرة فلسطين، والمقاومة الفلسطينية، فإنَّ لنا أنْ نقول: إنَّ أبواب دمشق وما حوله هي الدائرة المحيطة بدمشق، بحيثُ تشمل دمشق، وما حول دمشق، والجولان، وتصل إلى جنوب لبنان .

ونحن نجد أنَّ الحديث الشريف قد جمع في الوقت نفسه بين مَنْ يقاتل على أبواب دمشق وما حوله، وبين مَنْ يقاتل على أبواب بيت المقدس وما حوله، وفي هذا إشارة إلى أنَّ العدوَّ الذي يقاتلونه عدوٌّ مشترك، وهم اليهود، وواضحٌ أيضًا أنَّ المقاتلين الذين يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله لن يتجاوز قتالُهم منطقةَ دمشق، ولن ينتقلوا إلى فلسطين، بل سيظلُّون في حدود دمشق وما حول دمشق.

وقد رأينا مؤخرًا (في فبراير 2018م) كيف تمَّ إسقاط طائرة (F16) إسرائيلية في المنطقة التي يمكن أنْ نسميها (أبواب دمشق وما

1 أخرجه أبو يعلى (6417)، والطبراني في الأوسط (47)، وابن عدي في الكامل 7/74، قال الهيثمي: رجاله ثقات.

حوله)، على أيدي المقاتلين في هذه المنطقة، ولا شكَّ أنَّ هذا يعتبر مساندة للمقاومة الفلسطينية، وإشغالًا لليهود وإضعافهم.

ولا نتصوَّر أنْ يكون للعرب المُطبِّعين مع الاحتلال (الإسرائيلي)، والذين يعترفون به وبشرعيته، أيُّ دور في عملية زوال (إسرائيل)، ولا نتصور أنَّ هذه الأنظمة التي تربطها اتفاقيات سلام مع (إسرائيل) أنْ تسمح لشعوبها وجيوشها بالمشاركة في معارك التحرير والتَّتبير، فنحن قد رأينا بأنفسنا مواقف هذه الأنظمة من الحروب على غزة، فهي لم تكتفِ بأنْ تكون متفرِّجة على قتل أبناء فلسطين، بل إنَّها كانت في مواقفها العملية تحاصر الشعب الفلسطيني في غزة، وتساند الاحتلال (الإسرائيليّ) بالمال، والبترول، والمعلومات الأمنية، والتغطية السياسية، والتطبيع، فلنْ يكون لها شرف المشاركة في تحرير فلسطين، بلْ ستظلُّ هذه الأنظمة رمزًا للخذلان الذي تتحدث عنه الأحاديث النبوية الصحيحة، حتى يأتي أمر الله بزوال حقبة الحكم الجبري، وكنس هؤلاء إلى مزابل التاريخ.

ثمَّ إنَّ سُنَّة الله الماضية لن تتخلَّف بإذن الله تعالى، فالله تعالى يقول: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ {البقرة: ٢٤٩}، وأعتقد أنَّ الله سينصر هذه الفئة

المؤمنة الصابرة والمرابطة في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، وعسقلان، بإذن الله تعالى.

هل يُشارك المَهْديُّ عليه السَّلام في تحرير فلسطين؟

الجديرُ بالذكر هنا أنَّ المَهْديَّ عليه السلام لا علاقة له بتحرير فلسطين من اليهود، وأنّ الأحاديث التي يُذكَر فيها قتال المسلمين مع اليهود لا يُذكَر فيها المهدي مطلقًا، وإلى هذا ذهب الشيخ الألباني في **(سلسلة الهدى والنور)**، وهو أنَّ فلسطين سيتمّ تحريرها من اليهود قبل خروج المهدي بإذن الله تعالى.

وهو نفسه ما أستنبِطُه من الحديث الصحيح: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ».**[1]

فالخلافة إذنْ ستكون في بيت المقدس قبل حدوث أيٍّ من أشراط الساعة الكبرى، والأمور العظام، والتي منها خروج المهديِّ، وستكون الخلافة في بيت المقدس علامةً على دُنُوِّ أشراط الساعة.

1 سنن أبي داود، كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالْغَنِيمَةَ، ح 2535. وصحّحه الألباني.

يقول الشيخ أحمد بن محمد رزوق: (ومن العلامات التي تحدث قبل خروج المهديِّ: تحرير فلسطين وتهيئتها، كي تكون أرض الخلافة القادمة بمشيئة الله تعالى، وهذا يكون قبل المهديِّ، وليس كما يظنُّ بعض النَّاس أنَّ الذي سيُحرِّر فلسطين هو المهديِّ)[1].

وممَّا يؤكِّد هذا ما جاء في الحديث الصحيح، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها، عن النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (**يكون اختلافٌ عند موت خليفة، فيخرج رجلٌ من أهل المدينة، هاربًا إلى مكة، فيُخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويُبعث إليه بعثٌ من الشام، فيُخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة...**)[2].

فظهور المهديِّ عليه السلام سيكون بعد موت خليفة، ومعلومٌ أنَّ مصطلح (**خليفة**) إنَّما يُطلق على من تكون بيده الخلافة على المسلمين، وقول النبي عليه السلام: (**فيبايعونه بين الركن والمقام**) أيْ يبايعونه بيعةً كُبرى ليكون هو الخليفة عليهم بعد الخليفة الذي مات.

يقول الأستاذ بسَّام جرَّار: (ويظُنُّ البعض أنَّ نهاية الدولة الإسرائيلية تعني اقتراب اليوم الآخر، وهذا غير صحيح، ولا أصل له،

---

1 رزوق، أحمد، (أشراط الساعة والفتن والملاحم)، ص426، مكتبة سمير منصور، غزة، 2012م.

2 رواه الإمام أحمد في مسنده 316/6، وابن حبان في صحيحه 158/15.

أما قول الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود...، فقد ذهب بعض العلماء إلى القول: إنَّ المقصود بأنَّ الأمر لا بد أنْ يحصل، وليس المقصود أنَّ قتالهم من علامات يوم القيامة)[1] .

(إنَّ بعض المسلمين يردِّد مقولةً ينطوي باطنُها على سلبية قائليها، وحبِّهم للقعود، ذلك أنَّهم يقولون: إنَّنا لن ننتصر على اليهود إلا في زمن ظهور المهديّ، وخروج الدجَّال، ونزول عيسى عليه السلام، وهذا القول رغم أنَّه رجْمٌ بالغيب، وتعطيلٌ للشرع، فإنَّ هناك من النصوص ما يدل على خلافه، ويثبت أنَّ قتالًا سيخوضه المسلمون مع اليهود، وينتصرون عليهم فيه قبل ظهور المهديّ، وقبل زمن الدجَّال)[2].

وقد لفت الباحثان: د. نسيم ياسين، ود. سعد عاشور الانتباه إلى خطأ من يقول بأنَّ (إسرائيل) ستظلّ قائمةً حتى نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وقد حشدا الأدلَّة النَّقلية والعقلية التي تبرهن على زوال (إسرائيل) قبل ظهور المهديِّ بإذن الله.

---

1 جرار، بسام: (زوال إسرائيل2022م، نبوءة أم صدف رقمية): 2002، ط3، ص21.

2 العفَّاني، سيد حسن، (تذكير النفس بحديث القدس واقدساه) الجزء الثالث، ص 384، مكتبة معاذ بن جبل، 2001م

وجاء في بحثهما: (إنّ كثيرًا من المسلمين يُخطِئُون _ في رأينا _ في فهم النصوص، فيظُنُّون أنّ دولة اليهود مستمرةٌ حتى قُبَيل الساعة إلى أنْ ينزل المسيح عليه السلام، وهذا خطأٌ وَوَهْمٌ، فالنصوص تذكر أنَّه عند نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام تكون القدس عاصمة الخلافة الإسلامية)[1].

ويمكنني القول: إنَّ المجاهدين المسلمين سيُحرِّرون فلسطين، وسيُزيلون الإفساد الإسرائيلي عن جميع الأرض المباركة فلسطين، وسيُقيمون دولة الخلافة في القدس قبل ظهور المهديّ بإذن الله تعالى، وأنَّ المهديَّ سيكون فيما بعد خليفةً للمسلمين، وأنَّ الدجَّال عندما يخرج فإنَّما يقاتله المسلمون في فلسطين من خلال دولة الخلافة، وتحت قيادة نبيِّ الله عيسى بن مريم عليه السلام.

1 الخلافة الإسلامية وإمكانية عودتها قبل ظهور المهدي عليه السلام، د. سعد عبد الله عاشور _ د. نسيم شحدة ياسين، ص27، 2004م.

الوقفةُ الثامنـةَ عشرةَ

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾

زَوَالٌ لا إِبـــَادَة

في الآية إشاراتٌ إلى معانٍ مختلفة، نذكر منها:

1. ﴿ عَسَىٰ ﴾ : وهي من الله تفيد الوجوب، قال بذلك الطبري [1]، وأبو الفرج بن الجوزي [2]، والقرطبي [3]، ومعنى هذا: إن رحمة الله تعالى كائنة واقعة لا محالة ببني إسرائيل بعد زوال إفسادهم، وتتبير ملكهم، وسقوط دولتهم.
2. جاء في تفسير مقاتل: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ : فلا يُسلَّط عليكم القتل والسَّبْي[4].

---

1 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، المجلد السابع، ص 342،، دار الحديث، القاهرة، 2010م.

2 ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، (زاد المسير في علم التفسير)، المجلد الخامس، ص 9، دار الكتب العلمية، بيروت.

3 القرطبي، أبو عبد الله محمد، (الجامع لأحكام القرآن الكريم)، المجلد الخامس، ص562، دار الحديث، القاهرة، 2002م.

4 سليمان، مقاتل، (تفسير مقاتل بن سليمان)، المجلد الثاني، ص250، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

3. ﴿ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ ﴾: هذه الرحمة من الرب باليهود ستمنع إبادتهم وإفناءَهم، وما سيحدث في وعد الآخرة هو إنهاء لإفسادهم وعلوِّهم الكبير في الأرض المباركة فلسطين، وتتبير لدولتهم، وسقوط لملكهم.
4. هذه هي الفرصة الأخيرة لليهود، فقد أفسدوا في الأرض مرتين، وعاقبهم الله تعالى بزوال إفسادهم وملكهم مرتين، وسيكون لهم الآن فرصة أخيرة للتوبة والإنابة، ولا فرصة لهم بالإفساد من جديد.
5. عدم إبادة اليهود، وعدم قتلهم جميعًا، فيه رحمة من ربهم بهم، وفي هذا دليل على أنَّهم سيخرجون من فلسطين هروبًا وبحثًا عن نجاة أو حياة، وفي هذا الخروج أو الرحيل عن فلسطين رحمة من ربهم بهم، حيث سيَبقون على قيد الحياة، وتظهر قيمتها عندهم حين نتذكر أنَّهم أحرص الناس على حياة، يودُّ أحدهم لو يُعمَّر ألف سنة.

ويمكن أنْ نفهم معنى الآية كما يلي:

لقد أفسدتم يا بني إسرائيل في الأرض المباركة فلسطين مرّتين، وبعد المرة الأولى ردَّ الله تعالى لكم الكرَّة على مَنْ أزال ملككم، ولكنكم لم تتَّعظوا، ورجعتم للإفساد في فلسطين مرة أخرى، فعاقبكم الله تعالى،

وبعث عليكم من يزيل ملككم ويتبّرِ إفسادكم تتبيرًا، دون أنْ يُقضى عليكم وعلى حياتكم، وفي هذا رحمةٌ من الله بكم، فخُذوا هذه الفرصة بأنْ بقيتم أحياء، لعلكم تتوبون وترجعون.

- **وقد يسأل سائل: هل يمكن أنْ يرحم الله الكافرين؟**
- **هل يمكن أنْ يرحم الله اليهود على كفرهم وإفسادهم؟**

لذلك أقول: هناك فرقٌ بين المغفرة والرحمة من ناحية، وهناك فرق بين الرضا عن إنسان وبين رحمته من ناحية أخرى، فالمغفرة تجاوز عن الذنوب، وعدم المحاسبة عليها، وهذا لم يحدُثْ مع اليهود، بلْ إنَّ الله تعالى عاقبهم على إفسادهم في المرتين، ولم يَرْضَ عن فسوقهم، بل قضى عليه، وبعث عليهم في المرتين مَنْ ينسف ذلك نسفًا.

لكنَّ الرحمة من الله تعالى تكون للمؤمن والكافر، وتكون للأحياء والأموات وتكون للكائنات والجمادات، لقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ {الأعراف: ١٥٦}.

يقول السَّعدي في تأويل هذه الآية: (أيْ من العالم السُّفلي والعُلوي، البَرِّ والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلتْ إليه رحمة الله، أو غمره فضله وإحسانه)[1].

ونحن نجد هذا واضحًا في توجيه الله تعالى للإنسان، وكيفية تعامله مع والديه، حتى وإنْ كانا مشركين، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ {لقمان: 15} ، ففي الوقت الذي قد يجاهد فيه الوالدان ابنهما على أنْ يشرك بالله، فإنَّ الله يأمره بأنْ يصاحبهما بالمعروف، ولا شك أنَّ في هذا رحمةً من الله بهما، بالرغم من شركهما، وفي سورة الإسراء يأمر الله تعالى الابن بأنْ يخفض لوالديه جناح الذل من الرحمة، وأنْ يدعو لهما بالرحمة صراحةً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ {الإسراء: ٢٤}، وهذا يشير بوضوح إلى أنَّ رحمة الله تعالى تشمل المؤمن والكافر، فلا فرق بين والِدَين مؤمنين ووالِدَين كافرين.

---

1 السعدي، عبد الرحمن: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ص453، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1416هـ.

أمَّا الدعاء للكافرين بالمغفرة فلا يجوز مطلقًا، لأنَّه يخالف قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾{ النساء: ٤٨}، وقد جاء النَّهي عنه صريحًا في القرآن الكريم، حين قصَّ الله تعالى علينا ما كان من إبراهيم عليه السلام مع أبيه، حيثُ وعَدَه بأنْ يستغفر له ربَّه بقوله: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ ﴾ {مريم: ٤٧} ، لكنَّه سرعان ما رجع عن هذا الوعد، وهذا الاستغفار، عندما تبيَّن له أنَّ أباه عدوٌّ لله، وأنَّه لا يجوز الاستغفار له، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤ ﴾ {التوبة:114 }.

والله تعالى مع رحمته فهو الحكيم العليم، وهو العزيز الذي لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، لكنَّ حكمته اقتضتْ أنْ يعاقب بني إسرائيل بالقضاء على إفسادهم في المرّتين دون إبادتهم وقتلهم جميعًا، لذا فإنَّه يقول لهم: ﴿ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ ﴾ {الإسراء: ٨}، فلو كانوا قد قُتلوا جميعًا في وعد الآخرة، أو أُبيدوا لما أنذرهم بهذا النذير.

الوقفةُ التاسعةَ عشرةَ

﴿ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴾

إنهم المؤمنون الذين سيَرَوْن بأعينهم وعد الآخرة يتحقق، بهزيمة اليهود، وزوال مُلكهم، ورحيلهم عن فلسطين.

ويرَوْن بأعينهم كيف يدخل المجاهدون بيت المقدس فاتحين مهلّلِين مكبّرِين، يتبّرون كلَّ مظاهر الإفساد اليهودي في بيت المقدس، وفي فلسطين.

يرَوْن المجاهدين أُولي البأس الشديد وهم يدخلون رحاب المسجد الأقصى المبارك، ينحنون لله تعالى، ويصلُّون شكرًا وعرفانًا.

عندها سيخِرُّ المؤمنون للأذقان يبْكون بما رأَوْا، فيزيدهم تحقيق الله تعالى لوعده خشوعًا وإيمانًا ويقينًا: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ١٠٩ ﴾ {الإسراء: ١٠٩}.

لقد كانوا واثقين دائمًا من قدوم هذه اللحظات العزيزة، وكانوا على يقين من أنَّ الله تعالى لا يُخلف وعده، فيقولون: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ ﴾ {الإسراء: ١٠٨}.

إنَّ الظاهر من الآيات أنَّ المُراد بالوعد في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ١٠٨﴾ {الإسراء: ١٠٨} هو وعد الآخرة، وهو ما ذهب إليه كلٌّ من الأستاذ بسَّام جرَّار، والشيخ عبد الله بن الطوالة، في تفسيرهما لآياتٍ من سورة الإسراء، يقول الأستاذ بسَّام جرَّار في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ١٠٧﴾ {الإسراء: **107**} : أيْ (وعد الآخرة) المذكور في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ { الإسراء: ١٠٤}([1])

ويقول أيضًا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ١٠٧﴾ {الإسراء: ١٠٧} : (هم الناس الذين أوتوا العلم بالوعد قبل حصوله ...)([2]).

وهو نفسه ما نجده في تفسير الشيخ عبد الله بن الطوالة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ {الإسراء: ١٠٧} : أيْ من قبل

---

1 بسام جرار: (الإسراء 103/ وعد الآخرة)

2 المرجع نفسه.

أنْ يقع الإفساد الثاني، وبعد أنْ تقع أحداث وعد الآخرة، ويرون هذا بأعينهم، فإنهم يخرّون للأذقان سجَّدًا)[1].

لكن كثيرًا من أهل التفسير يقولون بأنَّ الضمير في قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ {الإسراء: ١٠٧} يعود على القرآن الكريم، وليس على وعد الآخرة، ولا شكَّ أنَّ السياق القرآني يحتمل ما يقولون ظاهرًا، خاصَّة أنَّ الآية التي سبقت هي: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ { الإسراء: ١٠٦}.

والسياق القرآني ذاته لا يمتنع أيضًا عن احتمال آخر في توجيه الضمير في قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ {الإسراء: ١٠٧} ، بحيث يعود على (وعد الآخرة) في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ { الإسراء: ١٠٤}، خاصّة أنَّ الآية التي تتحدث عن القرآن: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ ﴾ { الإسراء: ١٠٦}، هي معطوفةٌ على ما قبلها، فيكون وعد الآخرة هو أقرب المذكورين قبل العطف عليه، وهو مدار الحديث، وعليه يعود الضمير.

1 عبد الله ابن الطوالة: تأملات في سورة الإسراء.

وسأستعرض فيما يلي مجموعة من الإضاءات التي قد تساعد في التدبُّر والاستنباط، وفهم الآيات:

أولًا: إنَّ الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ ﴾ {الإسراء:105 } يعود على (وعد الآخرة)، والذي هو جزءٌ من القرآن الكريم، وهو آخر مذكور قبل الضمير في لفظة (به)، كما هو معلوم في قواعد اللغة العربية.

ثانيًا: قول الله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ {الإسراء:105 }، جاء بعد الحديث عن وعد الآخرة، وهو يشير إلى أنَّ النبي صلّى الله عليه وسلّم يبشر المؤمنين بوعد الآخرة الذي سيكون فيه زوال إفساد بني إسرائيل الثاني عن الأرض المباركة فلسطين، وفي نفس الوقت ينذر اليهود من عاقبة إفسادهم، وعلوِّهم الكبير.

ثالثًا: إنَّ قوله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ ﴾ { الإسراء: ١٠٦}، فيه إشارة إلى أنَّ هذه الآية معطوفة على ما قبلها، فكما تحدثت الآية التي قبلها عن (وعد الآخرة)، فإنَّ هذه الآية تحدثنا عن القرآن، وهي تبدأ بمنصوب هو: ﴿وَقُرۡءَانٗا ﴾ {الإسراء: ١٠٦}، ويمكننا أنْ نتوقع العامل في نصبه من خلال السياق، فنتوقع ما يلي:

أ- (وأنزلنا قرآنا)، فكما أنزلنا وعد الآخرة بالحق، فإننا أنزلنا قرآنًا

ب- النصب على الاختصاص، كأنْ نقول: وأخُصّ قرآنًا

ت- تقدير الفعل (اذكر)، فنقول: (واذكر قرآنًا)

ث-تقدير الفعل (أمدح)، فنقول: (أَمدح قرآنًا)

وهو ما يجعل الاحتمال قويًّا لأنْ يكون الضمير عائدًا على (وعد الآخرة)، الذي عُطِفَت عليه الآية التي تتحدث عن القرآن.

رابعًا: قوله تعالى: ﴿ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ **{**الإسراء: ١٠٧**}** لا يعني بالضرورة تلاوة القرآن، بل يمكن أنْ يُتلى بعض القرآن، أو بعض أنباء القرآن، كتلاوة ما يتعلق بوعد الآخرة، أو غير ذلك.

خامسًا: إنَّ ذِكْر الوعد في قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ ﴾ **{**الإسراء: ١٠٨**}** يجعل المُراد واضحًا، وهو (وعد الآخرة) المذكور في الآية ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾ **{**الإسراء: ١٠٤**}** والذي تحدثت عنه سورة الإسراء منذ البداية.

سادسًا: إنَّ قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ ﴾ **{**الإسراء: ١٠٨**}** فيه تعبير عن التعجُّب لقدرة الله وعظمته، ولِما يرَوْن من وعد الله الذي يتحقق أمام أعينهم، فهو نفس الوعد الذي

تحدثت عنه الآية ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا ﴾ { الإسراء: ١٠٤}، فقد كانوا كثيرًا ما يتلونها، وهو ما دعاهم للتعجُّب والدهشة.

وأيًّا كان الأمر، فوعد الآخرة قادم بإذن الله تعالى، وسيفرح المؤمنون بنصر الله، وسيسجد المؤمنون الذين كانوا يعلمون تأويل هذا الوعد من قبل، ويخرُّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا.

الوقفةُ العِشرُون

﴿ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ ﴾

الإِبَـــَـــــادَة

- **هل هذه مجّرد سُنَّة إلهية في الناس كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤ ﴾ {الفجر: ١٤}؟**
- **أم أنّ الآية فيها إخبار بأن اليهود سيُحاولون الإفساد في الأرض المباركة فلسطين من جديد؟**

إنَّ الخطاب في الآية موجَّهٌ إلى بني إسرائيل في سياق الحديث عن زوال إفسادهم الأخير ﴿ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾، وأنه سيكون على ثلاث مراحل:

1. إساءة الوجوه ﴿ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ {الإسراء:7}، وقد حدث ولايزال يحدث.
2. دخول بيت المقدس ﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ﴾{الإسراء:7}.
3. تتبير مظاهر الإفساد الأخير ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ {الإسراء:7}.

وأنَّه بعد زوال هذا الإفساد الأخير سيرحمهم الله تعالى بإبقائهم أحياءً دون قتل أو إبادة، لعلهم يتوبون، أو يرجعون عن معاصيهم.

لكنه تعالى ينذرهم ويحذرهم من العودة إلى الإفساد من جديد، وأنه بمجرد عودتهم إلى الإفساد سينتقم الله منهم وسيهلكهم، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾، فليس يُوجد فاصل بين (عدتم) و (عدنا)، فالعقوبة حاضرة وفورية، والإهلاك سريع ونهائي.

فهل سيعود اليهود للإفساد من جديد بعد زوال ملكهم ودولتهم في ﴿وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾، وبعد رحمة الله لهم بعدم إبادتهم وإفنائهم؟

في الآية الكريمة إيحاء بعودة اليهود للإفساد من جديد، لكنهم لن يُسمح لهم به، ولن يتمكنوا من الاستقرار أو الإقامة في فلسطين مرَّةً أخرى، ولن يكون لهم دولة أو مُلك بعد الإفسادين الأول والأخير، فقد قضى الله في أمرهم، فقال: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ ، فهما إفسادان لا ثالث لهما: ﴿ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ و ﴿ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾.

وممَّا يؤكِّد عودة اليهود إلى فلسطين في محاولةٍ للإفساد من جديد، هو زحفهم مع المسيح الدجَّال مستقبلاً، حيثُ سيكون أكثر أتباعه من اليهود، كما في الأحاديث الصحيحة.

وفي ظنّي أنَّ الدجَّال، ومن معه من اليهود والكفار، إنَّما يكون هدف زحفهم نحو فلسطين هو محاربة الدولة الإسلامية التي تتخذ من بيت المقدس عاصمةً لها (دولة الخلافة)، وبناء دولة لليهود في فلسطين من جديد، وهو ما تشير إليه الآية: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾.

ويمكنني أنْ أقف عند معنيين ظاهرين في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾:

المعنى الأول: إنْ عُدتم إلى المعصية، عُدنا إلى العقوبة.

المعنى الثاني: إنْ عُدتم إلى الإفساد في فلسطين، عُدنا إلى تسليط عباد لنا أولي بأس شديد عليكم.

عودةُ اليَهودِ مَعَ الدَّجَّال

سيعود اليهود للإفساد من جديد، وسيحاولون السيطرة على فلسطين، وبناء دولةٍ لهم فيها من جديد، لكنّ عودتهم هذه المرة ستكون مع المسيح الدجَّال، والذي ستكون نهايته على يد سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام عند باب (لُدّ) في فلسطين، وستكون نهايتهم هي القتلَ والإبادةَ بإذن الله تعالى، كما تُبَيِّن لنا الأحاديث الصحيحة التالية، ومنها هذان الحديثان:

1. (عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي (ﷺ) قال: **يتبع الدجّال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة[1])** [2].

2. وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(يخرج الدجَّال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم التِّيجان[3])** [4] .

---

1 الطَّيلس والطَّالسان والطَّيلسان: (ضَرْبٌ من الأوشحة يُلبَس على الكتف أو يحيط بالبدن، خال عن التفصيل والخياطة، وهو ما يعرف في العامية المصرية بالشال، والجمع طيالس، وطيالسة) المعجم الوسيط، ج2، ص562، وهو لباس يلبسه أحبار اليهود عادة.

2 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، (2944).

3 والتِّيجان جمع "تاج"، وهو ما يوضع على رءوس الملوك من الذهب والجواهر، وهو الإكليل، المعجم الوسيط، ج1، ص90، والتيجان يلبسها أحبار اليهود على رءوسهم.

4 مسند الإمام أحمد (224/3)، قال الهيثمي في المجمع (338/7): ورجاله رجال الصحيح.

خوارق الدجَّال، وخوارق المؤمنين:

إنّ الدجّال كما هو معلوم سيكون معه خوارقُ كثيرة، وتصرفاتٌ خارجةٌ عن مألوفات الناس، ولكنَّ الله تعالى لا يترك عباده المؤمنين في فلسطين، ليشعروا بالعجز في مواجهة هذه الخوارق، بل يهيئ لهؤلاء المؤمنين في فلسطين خوارقَ مختلفةً تُقَوِّيهم وتنصرهم، ومن هذه الخوارق:

أولًا: نُطق الجمادات (الحجر والشجر وغيرهما):

فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنَّ الحجر والشجر وغيرهما ممَّا يختبئ اليهود خلفه سينطق وقوفًا مع المسلمين، ومؤازرةً لهم، ومنها هذان الحديثان:

1.روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي (ﷺ) قال: **(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود من وراء الشجر والحجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه شجر اليهود)** [1]

---

1 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء(2922).

2.وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): **(... وينطلق هاربًا، فيُدركه عند باب لُدٍّ الشرقيّ، فيقتُله، فيَهْزِمُ الله اليهود، فلا يبقى شيءٌ ممَّا خلق الله عزَّ وجلَّ يتواقى به يهوديٌّ، إلا أنطق الله ذلك الشيء، ولا حجر ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة، إلا الغرقد، فإنَّها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبدَ الله المسلم، هذا يهوديٌّ فتعالَ اقتُلْهُ)** [1]

ثانيًا: نزول عيسى عليه السلام وقتلُه الدجَّال:

إنَّ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو الذي يقتُل المسيح الدجَّال عند باب (لُدٍ)، واللُّد مدينة فلسطينية معروفة، تقع إلى الشمال الغربي من القدس في أواسط فلسطين، ومن أدلَّة ذلك هذان الحديثان:

1.فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجَّال إلى أنْ قال: **(فيقول عيسى عليه السلام: إنَّ لي فيك ضربةً لن تفوتني بها، فيُدرِكَه عند باب لُدٍّ الشرقي، فيقتُلُه، فلا يبقى شيءٌ مما خلق الله عزّ وجلّ يتوارى به يهوديٌّ، إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا**

1 صحيح الجامع الصغير (2/266)، ورقمه (7752)، محمد ناصر الألباني.

شجرة، ولا حجر، ولا دابة، إلا قال: يا عبد الله المسلم، هنا يهوديٌّ فاقتُلْهُ، إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق...). [1]

2.وعن مجمع بن جارية رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(يقتُلُ ابنُ مريم الدجَّال ببابِ لُدٍّ)** [2].

فالدجَّال إذنْ سيدخل هو ومن معه من اليهود إلى فلسطين، وسيكون نُطق الشجر والحجر في زمن القتال مع الدجَّال، وليس قبله، وهذا ما جاء صريحًا كما في هذين الحديثين الصحيحين:

1.فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: **(يخرج الدجال في نقصٍ من الناس، وخفَّةٍ في الدِّين، وسُوءِ ذات بَيْنٍ، فيَرِد كلَّ مَنْهل، فتُطوى له الأرض طيَّ فروة الكبش، حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجِها، ويُمنع داخلُها، ثم جبل إيلياء، فيُحاصِر عصابةً من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله، أو يُفْتَحُ لكم؟ فيأتمرون أنْ يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم، فيقتُل الدجاَّل ويُهزَم**

---

1 صحيح الجامع الصغير (2/266)، ورقمه (7752)، محمد ناصر الألباني.

2 أخرجه الترمذي في باب الفتن، (2244)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (2457).

أصحابُه، حتى إنَّ الشجر والحجر والمَدَر[1]، يقول: يا مؤمن، هذا يهوديٌّ عندي فاقتُلْهُ) [2].

2. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **(دخل عليَّ رسول الله (ﷺ) وأنا أبكي، فقال: ما يُبكيك؟ قالتْ: يا رسولَ الله، ذكرتُ الدجَّالَ فبكيْتُ، فقال رسولُ الله (ﷺ): إنْ يخرجِ الدجَّالُ وأنا حيٌّ كفيتُكُمُوه، وإنْ يخرجِ الدجَّالُ بعدي، فإنَّ ربَّكم ليس بأعور، وإنَّه يخرجُ في يهوديَّة أصْبَهان حتّى يأتيَ المدينة، فينزلَ ناحيتَها، ولها يومئذٍ سبعة أبواب، على كل نَقْبٍ منها مَلَكَانِ، فيخرج إليه شرارُ أهلها، حتى يأتي فلسطين بابَ لُد، فينزل عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنةً إمامًا عَدْلًا وحَكَمًا مُقْسطًا)**[3].

ومما سبق أخلُص إلى النتائج التالية:

1. سيعود اليهود إلى فلسطين مع الدجال، وسيكون هو قائدهم، وسيكونون جنودًا وأتباعًا له، في محاولة للإفساد في فلسطين من جديد.

---

1 المَدَر: البيوت المبنية من الطين اللزج المتماسك، (المعجم الوسيط، ج2، ص858)

2 أخرجه الحاكم برقم (8612) وصححه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم، وقال الألباني: وهو كما قالا.

3 مسند الإمام أحمد برقم (23907)، صححه الألباني.

2.سينزل نبيٌّ الله عيسى بن مريم عليه السلام، ويقتل الدجَّال قائد اليهود عند باب (لُد) في فلسطين، ممَّا يؤكِّد عودة اليهود إلى فلسطين مرة أخرى، بهدف الإفساد، وبناء المُلْك من جديد.

3.مقتَلُ الدجَّال عند باب (لُد)، ونُطْق الحجر والشجر في فلسطين لقتل اليهود يؤكد أنَّ اليهود لنْ ينجحوا في إفسادهم مرَّة أخرى.

4. ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ فيها إشارة إلى سرعة انتقام الله تعالى من اليهود وقائدهم الدجال، وإبادتهم عن آخرهم، إلا من استتر بالغرقد، فقد ينجو بعضهم من الإطاحة برؤوسهم.

5.فلسطين المباركة كانت دائمًا – وستظل– قاهرةً للظلم والظالمين على مرّ العصور، وحتى يوم القيامة.

6.خطأ الوعَّاظ والخطباء الذين يخلطون بين زوال دولة (إسرائيل) في وعد الآخرة الحالي، وبين عودتهم مع الدجَّال، فإنَّ الشجر والحجر سينطقان فقط في زمن الدجَّال، وبعد نزول عيسى عليه السلام.

الوقفةُ الحاديةَ والعِشرُون

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾

لقد انتهت قوة اليهود في الأرض، ولم تعُد لهم أيُّ فرصة بعد فنائهم في المعركة الحاسمة التي كانوا فيها جنودًا للباطل بقيادة الدجَّال، ولم يعُدْ لهم وجودٌ في فلسطين، فقد انتهت كلُّ الفرص، فلا ردّ للكَرّة لهم من جديد، ولا رحمة لهم، ولا عودة.

لقد أفسدوا في الأرض مرَّتين، وملؤوا الدنيا فسادًا واستكبارًا وكفرًا، وعتَوْا عُتوًّا كبيرًا، وبلغوا من العلوِّ والظلم ما لم يبلغْه أحدٌ غيرُهم.

لم يتوبوا، ولم يرجعوا عن غيِّهم رغم تحذير الله تعالى لهم، وإنذاره إياهم، فاستحقُّوا هذا الذلَّ، وهذا القتل، وهذه النهاية.

لقد أبغضتهم الأرض المباركة التي أفسدوا فيها، وأبغضهم كلُّ شيء، حتّى الشجر والحجر ينطقان بظلم اليهود وكفرهم، ويُعلنان أنهما في صفِّ المؤمنين الموحِّدين الثائرين، وأنَّهما يشاركان في المعركة الحاسمة لإبادة اليهود، وتخليص الكون من شرورهم.

إنَّ هذا كلَّه في الدنيا، وما ينتظرهم في الآخرة أشدُّ وأخزى﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ {الإسراء:8} مع ما في لفظه (حصيرًا) من

الإيحاءات بالتضييق، والحبْس، والمنع، والحشر، فهم ليسوا في نار جهنم فحسب، بل في سجن جهنم وظلامها، كما في قوله الله سبحانه: ﴿ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ ﴾ {الفرقان: ١٣ }.

وفي آية الإسراء هذه إشارة إلى نهاية كلِّ شرٍّ من اليهود في الدنيا، فهم بعد الإفساد الأول والثاني، وبعد عودتهم مع الدجَّال لا بقاء لهم، فجاء التعقيب بهذه النهاية ﴿ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ {الإسراء: ٨}، وليس أمامهم إلا عذاب جهنّم إيذاناً بقرب قيام الساعة.

الوقفة الثانية والعشرون

﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

إنَّ البُشرى من الله تعالى تجعلنا نرى الطريق أمامنا واضحًا ومكشوفًا، وإنَّ الأمل يحدونا للقول بأنَّ النصر قريب، وأنَّ زوال (إسرائيل) بات أقربَ من أيِّ وقت مضى، ولسنا نتحدث بلغة إنشائية عاطفية، بل إنَّ كثيرًا من المؤشرات تدفعنا لهذا الأمل واليقين.

ومن أهمِّ المؤشرات على قرب زوال (إسرائيل):

أولاً: بلوغ اليهود عُلُوًّا كبيرًا ﴿ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ {الإسراء:4}، فهم اليوم يبلُغون من العلوِّ الكبير ما يجعلهم يتحكمون في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية – أقوى قوة مادية في العالم–، ويحصلون على شرعية وجودهم في فلسطين من خلال اعتراف عددٍ من الدول العربية والإسلامية بهم، وبدولتهم على الأرض الإسلامية العربية (فلسطين)، وها هو العَلَمُ الإسرائيلي يتدلَّى في عواصم عربية وإسلامية مختلفة، ولذلك فإنَّ هذا العلوَّ الإسرائيلي مؤشرٌ على أنَّ إفسادهم في الأرض قد تمّ، بل قارب الزوال.

ثانيًا: تحقُّق مرحلة إساءة وجوه اليهود، ومعلوم أنَّ هذه المرحلة تسبق مرحلة التَّتْبير كما في الآية الكريمة: ﴿ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ

﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ {الإسراء:7} ، وقد رأينا ولا زلنا نرى كلَّ يوم كيف يُفتَضَح أمرهم، وتتكشف سوءاتهم، وتسوء وجوههم، وهذا من المبشرات بقرب زوالهم بإذن الله تعالى.

ثالثًا: هجرة اليهود العكسية إلى خارج فلسطين، والتي تتزايد يومًا بعد يوم، تشير إلى أنَّ اليهود لا يشعرون بالأمن في فلسطين، برغم ما يملكون من الأسلحة المتطورة، والعُدَّة، والعتاد، والأموال، والأولاد مما يجعل أعدادًا كبيرة منهم يهاجرون خارج فلسطين.

يقول الأستاذ/ صالح النعامي في مقال نشره بعنوان **(هجرة اليهود العكسية ودلالاتها):** (فقد دلّت دراسة إسرائيلية حديثة على أنَّ مليون (إسرائيلي) قد غادروا (إسرائيل) بالفعل خلال العقدين الماضيين)[1].

ويضيف النعامي: (لا تتوقف مظاهر الهجرة العكسية عند المليون صهيوني الذين غادروا بالفعل (إسرائيل)، بل إنَّ الأمر بات يتصل بحقيقة أنَّ الأغلبية الساحقة من الإسرائيليين يُعِدّون العُدّة، للحصول على جواز سفر أجنبي، وحسب إحدى الدراسات المسحية فقد تبين أنَّ

---

1 النعامي، صالح، (هجرة اليهود العكسية ودلالاتها)، موقع فلسطين اليوم، 2011/7/19م..

60%من الإسرائيليين قد اتّصلوا بسفارة أجنبية، ليطلبوا الجنسية، أو جواز سفر) [1].

ونشرت الجزيرة بتاريخ 2016/1/12م مقالاً لوديع عواودة من حيفا حول دراسة تقدم بها الباحث (جورج كرزم)، وصدرت عن مركز مدى الكرمل للدراسات التطبيقية في حيفا، جاء فيه: (وأشارت الدراسة إلى أنَّ توقعات الدائرة الإحصائية الإسرائيلية تشير إلى أنَّه من سنة 2020م سيفوق عدد العرب في فلسطين التاريخية عدد اليهود، حيثُ ستبلغ نسبة اليهود 42%، وأنَّ نحو مليون (إسرائيلي) يحملون جوازات سفر أجنبية، وذلك وفق معطيات دائرة الإحصاء المركزية في (إسرائيل) للعام 2015م) [2].

إنَّ هذه الدراسات وغيرَها تؤكِّد أنَّ المشروع اليهوديَّ في فلسطين بدأ ينكمش ويتقلَّص، وأنَّه إلى زوال قريب بإذن الله تعالى.

---

1 النعامي، صالح، (هجرة اليهود العكسية ودلالاتها)، موقع فلسطين اليوم، 2011/7/19م.

2 عواودة، وديع، (مقال) مركز مدى الكرمل للدراسات التطبيقية في حيفا، 2016/01/12م.

رابعًا: صدور دراسات عربية إسلامية لمفكرين مسلمين توصَّلوا من خلال هذه الدراسات إلى قرب زوال (إسرائيل)، وأنَّ العدَّ التنازليَّ لزوال الإفساد الإسرائيلي في فلسطين يقترب من نهايته.

ومن أشهر هذه الدراسات العلمية: دراسة للمفكر الفلسطيني الأستاذ/ بسَّام جرَّار بعنوان: (زوال إسرائيل 2022.. نبوءة أم صدف رقمية)، والتي اعتمد فيها على استقراء القرآن الكريم، وخاصَّة الإعجاز العددي فيه[1].

وسار على نهجه أيضًا المفكر السوري/ م. عدنان الرفاعي في دراسته: (نهاية إسرائيل في القرآن الكريم)، والتي توصَّل فيها إلى نتائج مشابهة تقريبًا [2].

ولا شكَّ أنَّ هذه الدراسات، وغيرها، تزيد من يقين المؤمنين بحتمية الانتصار الوشيك على هذا الإفساد الإسرائيلي في الأرض والعلوِّ الكبير، وترفع من منسوب الأمل في نفوس المسلمين القابضين على الجمر في فلسطين، وفي غير فلسطين.

---

1 جرار، بسام، (زوال إسرائيل 2022م، نبوءة أم صدف رقمية)، ط 3، 2002م.

2 الرفاعي، عدنان، (نهاية إسرائيل في القرآن الكريم)، موقع : دنيا الوطن، 2007/3/7م.

خامسًا: تقرير المخابرات الأمريكية حول مستقبل الوجود الإسرائيلي في فلسطين يرجّح عدم قدرة (إسرائيل) على الاستمرار طويلاً، لأسباب ديموغرافية، ودينية، وغيرها.

وقد عرضت هذا التقرير هنا كما هو، لنعرف كيف يفكر الآخرون، وما هي رؤاهم فيما يخصُّ مستقبل اليهود في فلسطين، وحتمية زوال دولة (إسرائيل) قريبًا بإذن الله تعالى:

تقرير هام للغاية: المخابرات الأمريكية: "بعد 10 سنوات لن يكون هناك "إسرائيل"

الناصرة – المركز الفلسطيني للإعلام، تاريخ النشر 2014/7/22م

(توقع تقرير جديد للمخابرات الأمريكية تلاشي دولة الكيان الاسرائيلي في عام 2025م، وأوضح أنَّ اليهود ينزحون إلى بلادهم التي أَتَوْا منها إلى فلسطين، منذ الفترة الماضية بنسبة كبيرة، وأنَّ هناك نصف مليون إفريقيّ في الكيان الإسرائيلي سيعودون إلى بلادهم خلال السنوات العشر القادمة، إضافة إلى مليون روسيّ وأعداد كبيرة من الأوروبيين.

وأشار التقرير الذي أعدَّته (16) مؤسسة استخبارية أمريكية، وهو تقرير مشترك تحت عنوان **(الإعداد لشرق أوسط في مرحلة ما**

بعد إسرائيل) إلى أنَّ انتهاء دولة الكيان الإسرائيلي في الشرق الأوسط أصبح حتمًا قريبًا، وأشار التقرير إلى أنَّ صعود التيار الإسلاميّ في دول جوار دولة الكيان، وخاصّة مصر، قد أشعر اليهود بالخوف والقلق على حياتهم، وجعلهم يخشون على مستقبلهم ومستقبل أولادهم؛ لذا فقد بدأت عمليات نزوحٍ إلى بلادهم الأصلية.

وأوضح التقرير أنَّ هناك انخفاضًا في معدلات المواليد الصهيونية مقابل زيادة السكان الفلسطينيين، وأنّه يوجد (500 ألف صهيوني) يحملون جوازات سفر أمريكية، ومن لا يحملون جوازات أمريكية أو أوروبية في طريقهم إلى استخراجها، كما صرح بذلك القانوني الدولي (فرانكين لامب) في مقابلة مع تلفزيون(برس PRESS)، والبديل سيكون دولة متعددة العرقيات والديانات، وستُطْفَأُ فكرة الدولة القائمة على أساس النقاء اليهودي، التي لم يستطع قادة الكيان تحقيقها حتى الآن.

التقرير السري الذي اختُرق، وجرى الاطلاع على فحواه، أعربت فيه المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) فيه عن شكوكها في بقاء دولة الكيان الإسرائيلي بعد عشرين عامًا.

إنَّ الدراسة قد تنبَّأت بعودة اللاجئين أيضًا إلى الأراضي المحتلة؛ ما سيفضى بدوره إلى رحيل ما يقارب مليوني صهيوني عن المنطقة إلى الولايات المتحدة خلال السنوات الخمس عشرة القادمة، كما تنبَّأت الدراسة بعودة ما يزيد عن مليون ونصف صهيوني إلى روسيا، وبعض دول أوروبا؛ هذا بجانب انحدار نسبة الإنجاب والمواليد لدى الصهاينة مقارنة بارتفاعها لدى الفلسطينيين؛ ما يفضي إلى تفوق أعداد الفلسطينيين على الصهاينة مع مرور الزمن.

وأشار (لامب) إلى أنَّ تعامل الصهاينة مع الفلسطينيين، وبالذات في قطاع غزة، سوف يفضي إلى تحول في الرأي العام الأمريكي عن دعم الصهاينة خلافًا للسنوات الخمس والعشرين الماضية.

وقد أُعلم بعض أعضاء الكونجرس بهذا التقرير، وفى أحدث تصريحاته المثيرة للجدل، قال (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكية سابقًا، وأحد أبرز مهندسي السياسة الخارجية الأمريكية ومُنَظرِّيها، والمعروف بتأييده الواسع، وبدعمه المطلق للكيان الإسرائيلي: (إنّه بعد عشر سنوات لن تكون هناك دولة الكيان الإسرائيلي؛ أيْ في عام 2022م دولة (إسرائيل) لن تكون موجودة).

وقد حاولتْ مساعدة كيسنجر(تارابتزبو) نَفْيَ هذه التصريحات بعدما أثارت استياءً ورعبًا صهيونيًّا، إلَّا أنَّ (سندي آدمز) المحرِّرة في صحيفة (نيويورك بوست) أكَّدت أنَّ مقالها الذي نشرت فيه هذه التصريحات كان دقيقًا، موضِّحةً أنَّ (كيسنجر) قال لها هذه الجملة نصًّا.

وسبق لرئيس جهاز الموساد سابقًا (مائير داغان) في مقابلة مع صحيفة (جيروزلم بوست) في أبريل الماضي عام 2012م أنْ قال: " نحن على شفا هاوية، ولا أريد أنْ أبالغ وأقول كارثة، لكنَّنا نواجه تكهُّناتٍ سيئةً لما سيحدث في المستقبل".

إنَّ هذه المُبشِّراتِ وغيرَها من الشواهد والقرائن تجعلنا أكثر تمسُّكًا بأرضنا المباركة، وتدفعنا دفعًا لاحتضان المقاومة، ودعمها، ومساندتها بكل ما نملك، فهذا الإفساد اليهودي لنْ ينتهي إلا بالقتال العنيف، ولنْ تسقط راياتهم بغير المقاومة والجهاد، ولنْ يخرجوا من فلسطين بالمفاوضات أو الاتفاقيات.

إنَّنا على ثقة بعودة فلسطين مقدسة للمسلمين، ومباركة للعالمين، قريبًا بإذن الله تعالى، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ {الإسراء: ٥١}.

الخاتمة

بعد هذه التأمُّلات لآيات من سورة الإسراء، فإنَّني أرجو أنْ أكون قد وقفْتُ على بعض الإشارات والدلالات التي تفيدنا وتلزمنا في صراعنا المستمر مع اليهود الذين يحتلون فلسطين منذ سبعين سنة، وتضيء للمجاهدين الطريق، فيمضون في جهادهم واثقين من معية الله تعالى، متيقنين من النصر المبين، والتحرير القريب بإذن الله.

ويُمكنني أنْ أُجْمِل في هذه الخاتمة أهمَّ ما توصَّلت إليه في دراستي من خلال هذه التأمُّلات:

أولاً: إنَّ أرض فلسطين هي الأرض المباركة، وهي قلب الشام، والمسجد الأقصى هو محور هذه البركة.

ثانيًا: بيت المقدس (القدس) هي عاصمة دار الخلافة الإسلامية القادمة، وستكون ناظمًا لكلِّ المسلمين في الأرض، بإذن الله تعالى.

ثالثًا: الإفساد الأول لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) انتهى على أيدي الأشوريين بقيادة ملك بابل (نبوخذ نصَّر) سنة 586 ق. م، والذين ترجع أصولهم إلى قبائل عربية هاجرت من جزيرة العرب إلى منطقة بابل بالعراق .

رابعًا: الإفساد الثاني لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) هو هذا الذي نراه الآن من إقامة دولة (إسرائيل) على أرض فلسطين منذ العام 1948م.

خامسًا: : يستمر أهل فلسطين في ظهورهم على الحقِّ، وقهرهم للأعداء، وبقاء خذلان العرب والمسلمين لهم حتى يأتيهم أمر الله.

سادسًا: يكون تحرير فلسطين المباركة على أيدي أبنائها من أهل بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، ومرابطي عسقلان (غزة)، مع احتمالية مساندة أهل دمشق وما حولها لأهل فلسطين عن بُعد، من خلال الاشتباك مع اليهود وإشغالهم، بإذن الله تعالى.

سابعًا: تحرير فلسطين وإقامة دولة الخلافة في بيت المقدس، ليس من أشراط الساعة الكبرى المعروفة، ولكنه دليل على دُنُوِّ أشراط الساعة والأمور العظام.

ثامنًا: تحرير فلسطين، وزوال (إسرائيل)، وإقامة دولة الخلافة في القدس، يكون قبل ظهور المَهْدي عليه السلام، وقبل خروج الدجَّال، وقبل نزول عيسى بن مريم عليه السلام، بإذن الله تعالى.

تاسعًا: يعود اليهود إلى فلسطين مع الدجَّال في محاولة للإفساد من جديد، وعندها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقتل الدجَّال عند

باب لُدّ بفلسطين، وينطق الحجر والشجر، وينطق كلُّ شيء وقوفًا مع المقاتلين المسلمين الذين يقاتلون اليهود، ولا يبقى يهوديٌّ في فلسطين بإذن الله تعالى.

عاشرًا: إنَّ زوال (إسرائيل) بات قريبًا جدًّا، تدلُّ على هذا العديد من الدراسات العلمية، والبحوث المتخصِّصة التي تُؤكد بأنَّ (إسرائيل) ستزول خلال السنوات القليلة القادمة بإذن الله تعالى.

محتويات البحث